ديوان السليمانيات

(قصيدة)

الشاعرُ ليس نبياً ليكونَ شِعرُه وحياً!

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الشاعرُ ليس نبياً ليكونَ شِعرُه وحياً!

(مادام الشاعرُ أحدَ أبناء آدمَ فهو يُخطئ ويتوبُ مثلَ أبيه آدم!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!

(عندما يفترضُ أقوامٌ أن الشاعر لا يرد عليه الخطأ في قصيدةٍ ما من قصائده ، أو في ديوان ما من دواوينه ، فإن افتراضهم هذا ينبغي أن يسبقه افتراضٌ آخرُ لا يقل عنه في بداهة العقل والمنطق ، وهو أن هذا الشاعر نبي يوحى إليه ، ومن ثم فهو يُبلغ الناسَ عن ربه ما أوحاه إليه بلا زيادةٍ أو نقصان! فليس له أن يبدل أو يزيد أو ينقص أو يؤخر أو يقدم! ومن ثم أصبح شعره – إن كان ذلك كذلك – نصاً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يوجد به مثقال حبة خردل من خطأ أو خلل أو عيب! ولا نزال نستخرج الإقواء تلو الإقواء ، والسناد تلو السناد ، والإضمار تلو الإضمار ، والبتر تلو البتر ، والتذييل تلو التذييل ، والترفيل تلو الترفيل ، والتسبيغ تلو التسبيغ ، والتشعيث تلو التشعيث ، والحشو تلو الحشو ، والإكفاء تلو الإكفاء ، والإيطاء تلو الإيطاء ، والتضمين تلو التضمين ، وغير ذلك من الأخطاء النحوية والصرفية والإعرابية ، لا أقول في أشعار البارودي وشوقي وحافظ ومطران والعقاد ، ولا أقول في أشعار المتنبي وأبي تمام والبحتري والمعري ، ولا أقول في أشعار جرير والفرزدق والأخطل ، بل في أشعار زهير بن أبي سلمى وعنترة والسموأل وعمرو بن كلثوم والخنساء وحسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة والأعشى وغيرهم! ولا تزال الدراسات - في جامعاتنا العربية من جامعات الخليج شرقاً حتى جامعات المغرب العربي غرباً مروراً بمصر والشام – تطلع علينا بأبحاثٍ دقيقةٍ مخلصةٍ نقيةٍ صادقةٍ متوضئةٍ طاهرةٍ تُبين الحقيقة للناس بوجود عيوب قاتلة وأخطاء دامغة في أشعار عمالقة العرب الأولين الغابرين ، وليس فقط في أشعار العرب المعاصرين! لازلنا نقرأ عن الخلل والعيب في الشعر القديم والحديث ، وسوف نظل نكتشف ما لم يكتشفه غيرنا من العيوب والمزالق والأخطاء في شعر العرب! طبعاً أنا لا أقول بضعف شعر العرب الأولين وركاكته وكثرة العيوب والأخطاء فيه ، كما يذهب إلى ذلك خبثاءُ المستشرقين ومن شابههم ممن ينالون من لغة الضاد نحوها وصرفها وشعرها ونثرها! ولا أقر الشاعر الذي يوغل في الأخطاء اللغوية والإملائية والعروضية والبلاغية والنحوية والصرفية ، ويكون ذلك منه طابعاً عاماً في أغلب قصائده! إن مثل هذا النوع من الشعراء ينبغي أن يتعلم العربية أولاً ثم يكتب الشعر! كما أنني لا أقصد النوع الأشد جُرماً وهو الذي يتعمد - عن علم ويقين وسبق إصرار وترصد – الخطأ فيما يكتبه! فهو ينصب الفاعل ويرفع المفعول وينصب اسم (كان) ويرفع اسم (إن) عمداً رغم معرفته بأخطائه! لأنه يعتقد أن هذا لون من ألوان الحداثة والتجديد! وكبرتْ كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً! لكنني أقصد الشاعر الذي تقع منه بعض الهنات والأخطاء البسيطة الت يمكن أن يع فيها سهواً لا عمداً! يخطئ كما أخطأ أبوه آدم – صلى الله عليه وسلم – عندما أكل من الشجرة ، ثم تاب فتاب الله عليه! هل أكل آدم من الشجرة عامداً متعمداً؟ لا! وكذلك الشاعر يقع في الأخطاء دون أن يشعر! فإذا ذكّر ذكَر! بمعنى أنه يدفع بنصوصه وأشعاره إلى المتخصصين النحارير ليصوبوها له بدقة متناهية! ثم يصحح ما توصلوا إليه من أخطاء وعثرات! فهل يخلو الديوان أو النصوص بعد ذلك من الأخطاء؟ والله لا أقطع بذلك! لأنها كلها في عمومها اجتهادات بشر يصيبون ويخطئون ، ويتفقون ويختلفون! ولي مع الكتب والكُتاب نثراً وشعراً قرابة الأربعة عقود – علم الله – وأجد الأخطاء البسيطة وغير البسيطة فأصححها وأعتذر عن كاتبها أو شاعرها! وليس من منهجي أبداً تصيد الأخطاء لأتنقص الآخرين أو أعرّض بهم أو أصل على أكتافهم! وأعلم علم يقين أن من ألف فقد استُهدف! وأعلم علم يقين أن المؤلف ناثراً أو شعراً يضع قريحة فكره على طبق من ذهب

لقرائه! وإذن فالخطأ وراد على الجميع! ووالله إذا انتقلنا إلى الكُتاب والنقاد الغربيين – وأغلبنا ينظر إليهم على أنهم الدقة كلها والتحقيق كله والتدقيق كله – فإنني أجد عندهم الأخطاء القاتلة بعد مراجعتهم وتدقيقهم وتحقيقهم! فكم من موسوعة (جرامر & قواعد نحوية) اشتريتها وطالعت في المقدمة السيرة الذاتية للمؤلف ونبذة مطولة عن لجنة التدقيق والمراجعة من النحويين العباقرة في علم القواعد النحوية الإنجليزية ، وأغلبهم شابوا في هذا العلم! وتمت مراجعة الكتاب على أيديهم عدة مرات! ومع هذا لم يخل من الأخطاء! فأراسلهم فيعترفون بالخطأ ويعدون بتصحيحه في الطبعات القادمة! وإلى اليوم يستخرج النقاد الغربيون الأخطاء تلو الأخطاء عند شكسبير وجون ملتون وألدوس هاكسيلي ووليم ووردث وورث وجاك لندن وعيرهم من الكتاب والنقاد والشعراء من أبناء جلدتهم! وظل شكسبير عندهم الشاعر العملاق والأديب الذي لا يشق له غبار! فرق بين أن تكون الأخطاء عند الكاتب أو الشاعر سبيلاً إلى تحطيمه وبين أن تكون سبيلاً إلى بيان الحقيقة وتوقير المؤلف! مرة ثانية: يخطئ لأنه مجبول على الخطأ! أخطأ أبوه آدم – صلى الله عليه وسلم - ، ثم تاب فتاب الله عليه! بعض الكُتاب أو الشعراء عندما نوافيهم ببعض أخطائهم ونواجههم بها تأخذهم العزة بالإثم ويكابرون ولا يستجيبون للتصحيح رغم وضوح الدليل! هؤلاء يشبهون من قال لربه تعالى: (أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين!) أما عندما يستجيبون أو يناقشون أو يثبتون صوابهم بالدليل فهؤلاء كمن قال الله فيه: (ثم اجتباه ربه بكلماتٍ فتاب عليه وهدى!) وتخرج طبعة لكتاب ما نثراً أو شعراً فيقع الناسُ على الأخطاء فيواجهون بها الكاتب أو الشاعر فيُصدر طبعته الثانية بدون تكرار الأخطاء! ويزيد على ذلك شكر مَن صوّبوه والاعتذار للقراء عن طبعته الأولى التي فيها أخطاء! إن الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو القرآن ، فهو محفوظ بحفظ الله له! لم يستحفظ الله عليه أحداً! بل تولى حِفظه بنفسه – سبحانه وتعالى -. وصدق إذ قال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والذكر هنا القرآن والسنة بنص الإجماع! وذلك لأن السنة الصحيحة أيضاً وحي أوحاه الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – كما أوحاه القرآن! وإذن فكل كتاب آخر عُرضة لأن يرد الخطأ فيه سهواً أو نقص علم ودراية من صاحبه! إذ لم يحط صاحب فن بكل أسرار ودقائق وخفايا فنه! والشاعر أحد هؤلاء! فإن علم شيئاً فقد خفيت عنه أشياء! وإذا كان أصحاب الملكة والسليقة في العربية يرد عليهم الخطأ فما بالنا اليوم بنا؟ لا ملكة ولا تحدث ولا سليقة! بالعكس إذا تكلمت اليوم في ملأ ما باللغة العربية فلربما أمسك أحد محدثيك بجبينك وقال ثلاثاً: (اخرج يا عدو الله!) زاعماً أن رئياً من الجن قد أصابك أو مسك! فالرحمة الرحمة بالشعراء خاصة شعراء الفصحى الذين يسيرون عكس دفة الحياة وتيارها! ينبغي التلطف بهم والتماس الأعذار لهم! والله الذي بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالحق رسولاً نبياً لو كان الأمر بيدي لكنت رحيماً ودوداً براً بشعراء الفصحى في زماني ، ولسهلتُ عليهمُ الأمر ، ولبذلتُ لهم الغالي والنفيس تشجيعاً لهم وتأييداً ، ولساعدتهم بما أستطيعه من النصح والإرشاد ما داموا يسخرون شعرهم في سبيل الذود عن القيم والمبادئ والأخلاق! ولكنتُ لهم ظهيراً ومعيناً في رسالتهم وأشعارهم حسبة لله تعالى وابتغاء مرضاته! ومن باب قول الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) ومن باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه!) وإنني لأشكر لله أن يمسك مهندس ما في بقعة ما في زماننا هذا بقلمه ويكتب شعراً موزوناً قفى ولو فيه أخطاء! كما أشكر لله أن تفعل الشيء ذاته طبيبة توليد أو أسنان أو باطنة وتنافح عن قيم الإسلام بشعر موزون مقفى

ولو فيه أخطاء! أرشدها إلى الأخطاء ولا أكسر قلبها! أنبهها إلى الأغلاط ولا أدمرها! أضع يدها على المزالق والعثرات ولا أحطمها! ودوري هذا لا يقوم به إلا العظماء الكبار! لأن أفعال العظماء عظيمة وكذلك أفعال الكبار! فرقٌ بين بيان الحق والتشفي والتشهير والتدمير والتحطيم! ولا يكون ذلك على ملأ أبداً بل بيني وبين هذا الشاعر أو تلك الشاعرة! والحمد لله الوسائل الآن مُيسرة ومزللة من: (إيميل أو هاتف أو فيس بوك أو واتس آب أو ما شابه ذلك)! وذلك من باب الدين النصيحة! وأفرح أن الله تعالى سخر قلماً يذود عن الإسلام ، فأقوّمه وأقوّم صاحبه أو صاحبته مبتغياً الأجر من الله وحده! وكم جاءني أحد طلابي بنص كتبه فإن كان قد سرقه وعظته وقلت: لا تكون هذه بدايتك وحاول لتكتب أفضل منه! وإن كان النص له أظهرت له سعادتي الغامرة بمحاولته الجميلة وبينت له خمس ميزات حلوة فيها ، ثم وضحت له بعض الخلل في النحو أو الصرف أو العروض أو ما شابه! فلا أتعمد النيل منه ، ولا انتقاصه ولا السخرية منه ولا الاستهزاء به! بل أقوم بواجبي وأمانتي من النصح والإرشاد والتوجيه! وأتذكر قول الله تعالى: (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم)! لقد كنت يوماً مثله وربما أقل منه! وكنت ساعتئذٍ بحاجةٍ ماسةٍ لمن يأخذ بيدي ويعلمني ويرشدني! إن الشاعر أخ لنا في الإسلام ، والستر عليه من باب الأولى ، والنصح له ينبغي أن يكون برفق وبإحساس وبشعور وبعاطفة لأن هذه الأشياء مجتمعة هي مادة الشاعر في صياغة نصه! ومن أقوال السَّلف والعلماء في الحثِّ على السَّتْر: قال أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: (لو أخذت سارقًا لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ ، ولو أخذت شاربًا ، لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ)! ـ وعن أبي الشَّعثاء قال: (كان شُرَحْبِيل بن السِّمْط على جيشٍ ، فقال لجيشه: إنَّكم نزلتم أرضًا كثيرة النِّساء والشَّراب ـ يعني الخمر ـ فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا ، فنطهِّره ، فأتاه ناس ، فبلغ ذلك عمر بن الخطَّاب ، فكتب إليه: أنت ـ لا أمَّ لك ـ الذي يأمر النَّاس أن يهتكوا سِتْر الله الذي سَتَرَهم به)! ـ وعن المعْرُور بن سُوَيْد قال: (أُتي عمر بامرأة راعية زنت ، فقال عمر: ويح المرِّيَّة ، أفسدت حَسَبَها ، اذهبا بالمرِّيَّة فاجلداها ، ولا تخرقا عليها جلدها ، إنَّما جعل الله أربعة شهداء سترًا ستركم به دون فواحشكم ، ولو شاء لجعله رجلًا صادقًا أو كاذبًا ، فلا يطَّلعنَّ سِتْر الله منكم أحد)! ـ وعن الشَّعبي: أنَّ رجلًا أتى عمر بن الخطَّاب ، قال: (إنَّ ابنة لي أصابت حدًّا ، فعَمَدت إلى الشَّفْرة ، فذبَحَت نفسها ، فأدركتُها ، وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويتها فبرأت ، ثم أنَّها نَسَكت ، فأقبلت على القرآن ، فهي تُخْطب إليَّ ، فأخبر من شأنها بالذي كان ، فقال له عمر: تعمد إلى سِتْر سَتَره الله فتكشفه؟ لئن بلغني أنَّك ذكرت شيئًا من أمرها ، لأجعلنَّك نَكالًا لأهل الأمصار ، بل أنكِحها نكاح العفيفة المسلمة)! ـ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ثلاث أحلف عليهنَّ ، والرَّابعة لو حلفت لبَررْت: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، ولا يتولَّى اللهَ عبدٌ في الدُّنيا فولَّاه غيره يوم القيامة ، ولا يحبُّ رجل قومًا ، إلا جاء معهم يوم القيامة ، والرَّابعة التي لو حلفت عليها لبَررْت: لا يَسْتُر الله على عبد في الدُّنيا ، إلَّا سَتَر عليه في الآخرة)! ـ وعن مريم بنت طارق: (أنَّ امرأة قالت لعائشة ـ رضي الله عنها ـ: يا أمَّ المؤمنين ، إنَّ كَرِيًّا أخذ بساقي وأنا مُحْرِمَة ، فقالت ـ رضي الله عنها ـ: حِجْرًا حِجْرًا حِجْرًا ، وأعرضت بوجهها ، وقالت بكفِّها ، وقالت: يا نساء المؤمنين ، إذا أذنبت إحداكنَّ ذنبًا ، فلا تخبرنَّ به النَّاس ، ولتستغفر الله تعالى ، ولتتب إليه ؛ فإنَّ العباد يُعَيِّرُون ولا يُغَيِّرُون ، والله تعالى يُغَيِّر ولا يُعَيِّر)! ـ وعن أبي عثمان النَّهدي ، قال: (إنَّ المؤمن ليُعطى كتابه في سِتْرٍ من الله تعالى ، فيقرأ سيِّئاته فيتغيَّر لونه ، ثمَّ يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه ، ثمَّ ينظر ، وإذا سيِّئاته

قد بُدِّلت حسنات ، فعند ذلك يقول: (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ)! - وقال الحسن البصري: (من كان بينه وبين أخيه سِتْر فلا يكشفه)! - وعن إبراهيم بن أدهم ، قال: (بلغني أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لخالد ابن صفوان: عِظْني وأوجز. قال: فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إنَّ أقوامًا غرَّهم سِتْر الله عزَّ وجلَّ ، وفتنهم حُسْن الثَّناء ، فلا يغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك ، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالسِّتْر مغرورين ، وبثناء النَّاس مسرورين ، وعمَّا افترض الله متخلِّفين مقصرين ، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى ، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتِّباع الهوى)! - وقال العلاء بن بدر: (لا يعذِّب الله عزَّ وجلَّ قومًا يسترون الذُّنوب)! - وعن محمود بن آدم قال: سمعت سفيان بن عيينة ، يقول: (لولا ستْر الله عزَّ وجلَّ ما جالسَنا أحدٌ)! - وعن شُبَيْل بن عوف الأَحْمَسِي ، قال: (كان يقال: من سمع بفاحشة ، فأفشاها ، كان فيها كالذي بدأها)! - وعن عبد الله بن المبارك ، قال: (كان الرَّجل إذا رأى من أخيه ما يكره ، أمره في سِتْر ، ونهاه في سِتْر ، فيُؤجر في سِتْره ، ويُؤجر في نهيه ، فأمَّا اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره ، استغضب أخاه ، وهتك سِتْره)! - وقال الفضيل بن عياض: (المؤمن يَسْتر وينصح ، والفاجر يهتِك ويُعيِّر)! - وعن عبيد الله بن عبد الكريم الجِيْلِي ، قال: (من رأيته يطلب العثرات على النَّاس ، فاعلم أنَّه معيوب ، ومن ذكر عَورات المؤمنين ، فقد هتك سِتْر الله المرخَى على عباده)! - وقال ابن رجب: (رُوي عن بعض السَّلف أنَّه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب النَّاس ، فذكر النَّاس عيوبهم. وأدركت أقوامًا، كانت لهم عيوب فكَفُّوا عن عيوب النَّاس فنُسيت عيوبهم)! وقال ابن القيِّم: (وأمَّا اكتفاؤه في القتل بشاهدين دون الزِّنا ، ففي غاية الحِكْمة والمصلحة ؛ فإنَّ الشَّارع احتاط للقصاص والدِّماء ، واحتاط لحدِّ الزِّنا ، فلو لم يقبل في القتل إلَّا أربعة لضاعت الدِّماء ، وتواثب العادون ، وتجرؤوا على القتل ؛ وأمَّا الزِّنا فإنَّه بَالَغَ في سِتْره ، كما قدَّر الله سِتْره ، فاجتمع على ستْره شرع الله وقدره ، فلم يقبل فيه إلَّا أربعة يصِفُون الفِعْل وصف مشاهدة ، ينتفي معها الاحتمال ؛ وكذلك في الإقرار ، لم يكتف بأقلَّ من أربع مرَّات ، حرصًا على سِتْر ما قدَّر الله ستْره ، وكَرِه إظهاره ، والتَّكلُّم به ، وتوعَّد من يحبُّ إشاعته في المؤمنين بالعذاب الأليم ، في الدُّنيا والآخرة)! وقال أيضًا: (للعبد سِتْرٌ بينه وبين الله ، وسِتْرٌ بينه وبين النَّاس ، فمن هتك السِّتْر الذي بينه وبين الله ، هتك الله السِّتْر الذي بينه وبين النَّاس)! وقال أيضًا: (ومن النَّاس من طبعه طبع خنزير: يمرُّ بالطَّيِّبات فلا يلوي عليها ، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قَمَّه ، وهكذا كثير من النَّاس ، يسمع منك ، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ ، فلا يحفظها ، ولا ينقلها ، ولا تناسبه ، فإذا رأى سقطة ، أو كلمة عَوْراء ، وجد بغيته ، وما يناسبها ، فجعلها فاكهته ونقله)! وقال أبو البركات الغزي العامري في كلامه عن آداب العِشْرة بين المسلمين: (ومنها: الاجتهاد في سِتْر عَورَات الإخوان وقبائحهم ، وإظهار مناقبهم ، وكونهم يدًا واحدةً في جميع الأوقات)! قال العلماء: إنه يجب على المسلم أن يستر أخاه المسلم إذا سأله عنه إنسان ظالم يريد قتله أو أخذ ماله ظلمًا ، وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها ، يجب عليه سترها وإخفاؤها ، ويجب عليه الكذب بإخفاء ذلك ، ولو استحلَفَه عليها لزمه أن يحلف ، ولكن الأحوط في هذا كله أن يورِّي ، ولو ترَك التورية وأطلق عبارة الكذب ، فليس بحرامٍ في هذه الحال. "الأذكار" ؛ للإمام النووي (ص 580). واستدلوا بجواز الكذب في هذه الحال بحديث أم كلثوم - رضي الله عنها -: أنها سمعت رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يقول: ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا. أخرجه البخاري (2/ 958، رقم 2546) ، ومسلم (4/ 2011 ، رقم 2605). أجمع

العلماء على أن مَن اطَّلع على عيبٍ أو ذنبٍ أو فجورٍ لمؤمن من ذوي الهيئات أو نحوهم ممَّن لم يُعرَف بالشر والأذى ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه ؛ كأن يشرب مسكرًا أو يزني أو يفجر متخوفًا متخفيًا غير متهتِّك ولا مجاهر ـ يُندَب له أن يستره ، ولا يكشفه للعامة أو الخاصة ، ولا للحاكم أو غير الحاكم. الموسوعة الفقهية الكويتية\" (24/ 169). وخصوصًا إذا كان ممَّن يُنسَب لأهل الدين ، والطعنُ فيه طعنٌ في الإسلام ، والعيبُ عليه عيبٌ في أهل الإسلام ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ ، إلا الْحُدُودَ. أخرجه أحمد 181/6 والبخاري في (الأدب المفرد) (465). وفي قصة ماعزُ بن مالكٍ الأسلمي ما يؤكد حث الإسلام على الستر على العصاة ، فقد كان ماعز الأسلمي أحدُ الأصحاب الأخيار ممن وقر الإيمانُ في قلبه ، فآمن بربه ، وصدَّق برسالة نبيِّه ، وعاش في مدينة رسول الله يَحمل بين جنبَيه نورَ الإيمان ، وضياء التَّقوى ، بَيْدَ أنَّه لم ينفك عن بشريَّته ، ولم ينسلخ من ضعفه الآدمي ؛ {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}. فزيَّن له الشيطانُ فعلَ الحرام ، وأزَّته نفسُه الأمَّارة نحوَ الفاحشة أزًّا ، وفي ساعة الغفلة وسكرة الشَّهوة وقع في الإثم ، وكان من أمره ما كان. عصى ماعزٌ ربَّه ، وأيقن أنَّ ذاك من عَمَلِ الشيطان ؛ إنه عدو مضل مبين ، فاحترق قلبه ، وتلوَّعت نفسُه ندمًا وأسفًا ، وعاش أيامًا عدة في بُؤس وغمٍّ ، وحسرةٍ وهمٍّ. وعندها قرر ماعز أنْ يبوحَ بأمره ذاك إلى أحد بني عشيرته ، وهو هزَّال بن يزيد الأسلمي ، الذي أشار عليه أن يعترفَ ويقرَّ أمام النبي ـ صلَّى الله عليه وسلم ـ بخطيئته. مشى المذنب التائب تجرُّه رِجلاه نحوَ الرَّحمة المُهداة ، فوقف في حياءٍ واستحياء ، ونطق بجُرمه ومَعصيته ، فأعرض عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكرر ماعز اعترافَه ، وأقرَّ أربعًا ، وألح على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنْ يُقيمَ حدَّ الله ، فلم يكُن بدٌّ من إقامة الحد، حدِّ الرجم ، فرجمه الصحابة حتَّى فاضت روحُه إلى بارئها ، ثم صلَّى عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعا له ، واستغفر ، وأثنى على توبته وصدقه مع ربِّه. فلما بلغ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنَّ هزَّالاً الأسلميَّ هو الذي أشار عليه بالاعتراف ، دعاه ثم قال: "يا هزَّالُ ، لو سترته بثَوْبك ، كان خيرًا لك مما صنعت به" . أخرجه أحمد 216/5(22235) و"أبو داود\"4377 و"النَّسائي\" في "الكبرى"7167 ، الألباني: الصحيحة 29/2. والستر على الناس فضله عظيم وثوابه عميم ، فعَنْ دُخَيْنٍ ، كَاتِبِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ: قُلْتُ لِعُقْبَةَ: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ فَيَأْخُذُوهُمْ ، فَقَالَ: لاَ تَفْعَلْ ، وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَتَهَدَّدْهُمْ ، قَالَ: فَفَعَلَ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، قَالَ: فَجَاءَهُ دُخَيْنٌ ، فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ ، فَقَالَ عُقْبَةُ : وَيْحَكَ ، لاَ تَفْعَلْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ ، فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْؤُودَةً مِنْ قَبْرِهَا. أخرجه أحمد 153/4(17530) و"أبو داود"4892 . ولقد استثنى الإسلام من جملة الستر على العصاة: <u>أولاً</u>: الحدود فإنها تستر على صاحبها وفق الضوابط ، ما لم تبلغ السلطان فإنها لا تستر حينئذ، ودليله ما روي عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ؛ انَّ قُرَيْشا اهَمَّهُمْ شَانُ المرأة الْمَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَتْ. فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلا أُسامة ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . فَكَلَّمَهُ أُسامة. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ. فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إنما هْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أنهم كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ ، تَرَكُوهُ وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ ، أقاموا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ اللهِ ، لَوْ أن فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. أخرجه أحمد 41/6 و\"البُخَارِي\" 213/4 و29/5 و\"مسلم\" 114/5. وعن ابن مسعود موقوفاً: ادرأوا الحدود بالشبهات وأقيلوا الكرام

عثراتهم إلا في حد من حدود الله تعالى. ولما جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال له: إن فلان تقطر لحيته خمراً فرد عليه بن مسعود: إن نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به. ثانياً: الشخص الذي يجاهر بالمعصية ، والي يستخف بحدود الله وبالناس ، فليس لهذا الشخص ستر وليس أهلاً له ، فالستر لا يتناول من كان منكره يلحق الضرر بالمجتمع عامة ، وتهريب المخدرات ، أو يتعاطى السحر والكهانة ، ومن أراد التفريق بين المسلمين وتشتيت كلمتهم. وقد رُوِي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب الناس ، فذكر الناس عيوبهم ، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب ، فكفُّوا عن عيوب الناس فنُسِيت عيوبهم. وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يعرفه الناس ويحذره الناس. رواه الطبراني (418/19 ، رقم 1010) الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم: 104 في ضعيف الجامع. وقال محمد بن داود الحدائى ، قلت لسفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم في القدر – يعنى إبراهيم بن يحيى فقال سفيان: عرفوا الناس أمره ، وسلوا الله لي العافية. ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص 83. - الله تعالى ستير يحب الستر: من صفات الله تعالى أنه ستير يحب الستر على عباده ، وهذا من كمال رحمته سبحانه ومن تمام فضله ، قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وقال: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ". وعَنْ عَطَاءٍ عَنْ يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ. أخرجه أحمد (4/ 224 ، رقم 17999) ، وأبو داود (4/ 39، رقم 4012) ، والنسائي (1/ 200 ، رقم 406). والبيهقي (1/ 198 ، رقم 908) الألباني :صحيح النسائي (406). وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: (هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). أَخْرَجَهُ أحمد 74/2(5436) و"البُخَارِي" 168/3(2441) و"مسلم" 105/8(7115). يروى أنه في عهد سيدنا موسى عليه السلام جف المطر وطلب منه قومه أن يدعو ربه بالغيث وينزل عليهم المطر فصعد سيدنا موسى الجبل ودعا ربه بأن ينزل عليهم المطر فقال له ربه عز وجل: يا موسى كيف انزل المطر و بينكم عاص فرجع موسى إلى قومه وبلغهم بأن بينهم عاص ولم ينزل الله المطر إلا إذا خرج فلم يخرج أحد ثم أنزل الله المطر فصعد موسى الجبل وقال لربه يا رب جمعت القوم و أبلغتهم بأن بيننا عاص فليخرج ولم يخرج أحد وقد أنزلت المطر يا رب فقال سبحانه وتعالى: يا موسى أني أنزلت المطر بعد ما تاب العاصي توبة نصوحة فقال موسى لربه من هو يا رب حتى نعرفه قال الله عز و جل لموسى يا موسى سترته وهو عاص فكيف لا أستره وقد تاب إلى؟! ابن قدامة: كتاب التوابين 82. قال شقيق بن إبراهيم: استتمام صلاح عمل العبد بستِّ خصال: تضرُّع دائم وخوف من وعيده ، والثاني: حسن ظنِّه بالمسلمين ، والثالث: اشتغاله بعيبه ولا يتفرَّغ لعيوب الناس ، والرابع: يستر على أخيه عيبه ولا يُفشي في الناس عيبه ؛ رجاء رجوعه عن المعصية واستصلاح ما أفسده من

قبل ، والخامس: ما اطَّلع عليه من خسَّة عملها استعظمها ؛ رجاء أن يرغب في الاستزادة منها ، والسادسة: أن يكون صاحبه عنده مصيبًا. حلية الأولياء" (8/ 66). ولكي ينال العبد رحمة الله تعالى وعفوه بالستر عليه ، فلا بد له من شروط وأخلاقيات منها: أ- الإخلاص وترك الرياء: قال تعالى: "هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ، وقال: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ". عَنِ ابن عَبَّاسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم: مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ ، وَمَنْ رَاءَى ، رَاءَى الله بِهِ. أخرجه مسلم 223/8(7585). كان بشر الحافي يقول: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ العِزِّ ، وَأَنَّ الفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الغِنَى ، وَأَنَّ المَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ البَقَاءِ. وقَالَ: قَدْ يَكُوْنِ الرَّجُلُ مُرَائِياً بَعْدَ مَوْتِه ، يُحِبُّ أَنْ يَكْثُرَ الخَلْقُ فِي جِنَازَتِهِ. لاَ تَجِدُ حَلاَوَةَ العِبَادَةِ حَتَّى تَجعَلَ بَينَكَ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ سُدّاً. السير 466/19. ب- التوبة والإنابة: فالله تعالى من شأنه حبُّ الستر والصون لعباده ، والتجاوز عن هفواتهم والعفو عن زلاتهم ، وقبول التوبة ممن تاب ، قال تعالى: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ". وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّلاَةَ ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ. أخرجه البُخَارِي 206/8(6823) و"مسلم" 102/8 (7106). ج- الستر على النفس وعدم المجاهرة بالمعصية: يستحب لمن وقع في معصية وندم أن يبادر إلى التوبة منها ولا يخبر أحداً ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ ، فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ". أخرجه البخاري 24/8(6069) و"مسلم" 224/8. وعن ابن عمر رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله و ليتب إلى الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله. رواه الحاكم والبيهقي ، تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 149 في صحيح الجامع. قالَ ابن بَطّال: فِي الجَهر بِالمَعصِيَةِ استِخفاف بِحَقِّ الله ورَسُوله وبِصالِحِي المُؤمِنِينَ ، وفِيهِ ضَرب مِنَ العِناد لَهُم ، وفِي السِّتر بِها السَّلامَة مِنَ الاستِخفاف ، لأَنَّ المَعاصِي تُذِلّ أَهلها ، ومِن إِقامَة الحَدّ عَلَيهِ إِن كانَ فِيهِ حَدّ ومَن التَّعزِير إِن لَم يُوجِب حَدًّا ، وإِذا تَمَحَّضَ حَقّ الله فَهُو أَكرَم الأَكرَمِينَ ورَحمَته سَبَقَت غَضَبه ، فَلِذَلِكَ إِذا سَتَرَهُ فِي الدُّنيا لَم يَفضَحهُ فِي الآخِرَة ، والَّذِي يُجاهِر يَفُوتهُ جَمِيع ذَلِكَ. فتح الباري 10:487. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلهِ ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. أخرجه أحمد 387/1(3671). عَنْ مَيْمُوْنٍ قَالَ: "مَنْ أَسَاءَ سِرّاً ، فَلْيَتُبْ سِرّاً ، وَمَنْ أَسَاءَ عَلاَنِيَةً ، فَلْيَتُبْ عَلاَنِيَةً فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلاَ يَغْفِرُوْنَ ، وَاللهِ يَغْفِرُ وَلاَ يُعَيِّرُ. سير أعلام النبلاء 9:81. وقال ابن القيم رحمه الله: "الذنوبُ جراحاتٌ ، ورُبَّ جرحٍ وقع في مقْتَلٍ ، وما ضُرب

عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلبِ والبعدِ عن اللهِ ، وأبعدُ القلوبِ عن الله القلبُ القاسي "ورحم الله أبا العتاهية حين تخيل لو أن للذنوب رائحة كريهة تفوح فتفضح المذنب كيف يكون حالنا؟ وكيف أن الله قد أحسن بنا إذ جعل الذنوب بلا رائحة. يروى أنهم أتوا إلى عمر رضي الله عنه برجل قد سرق فقال هذا السارق: أستحلفك بالله أن تعفو عني فإنها أول مرة ، فقال عمر رضي الله عنه: كذبت ليست هي المرة الأولى فأراد الرجل أن تثار الظنون حول عمر فقال له: أكنت تعلم الغيب؟ فقال عمر رضي الله عنه: لا ، ولكني علمت أن الله لا يفضح عبده من أول مرة ، فقطعت يد الرجل فتبعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أستحلفك بالله أهي أول مرة؟ فقال: والله إنها هي الحادية والعشرون. ثانياً: الستر على العاصي من صفات المؤمن الصالح: الستر على أهل المعاصي وعدم تتبع سقطاتهم من صفات المؤمنين الصالحين ، ومن حقوق الأخوة الإسلامية ، قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ". وعَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَهُ أحمد 91/2(5646) و"البُخَارِي"! 168/3(2442) و"مسلم" 18/8(6670). قال ابن حجر رحمه الله: "أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره ؛ أي: للناس ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه ، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينتهِ عن قبيحِ فعلِه ثم جاهَر به ، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيء ، فلو توجَّه إلى الحاكم وأقرَّ لم يمتنع ذلك ، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضَتْ ، والإنكار في معصية قد حصل التلبُّس بها ، فيجب الإنكار عليه ، وإلا رفَعَه إلى الحاكم ، وليس من الغيبة المحرمة ، بل من النصيحة الواجبة. فتح الباري" (5/ 97). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا ، إِلاَّ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أخرجه أحمد 388/2(9033) و"مسلم" 6686. ومعنى الستر هنا عامٌّ لا يتقيَّد بالستر البدني فقط ، أو الستر المعنوي فقط ، بل يشملهما جميعًا ، فمَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة ؛ ستَر بدنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرَها ، أو رأت امرأة شيئًا من جسد أختها مكشوفًا غير منتبهة إليه فغطَّته ، وستره معنويًّا فلم يظهر عيبه، فلم يسمح لأحدٍ أن يغتابه ولا أن يذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحه بإظهار عيوبه وذنوبه. عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ. قَالَ وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ. أَخْرَجَهُ الترمذي (2032) الألباني: رقم: 7984 في صحيح الجامع. ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الأعلى في الستر على الناس وعدم تعييرهم بأخطائهم وهفواتهم ، قال زَيْدَ بن أَسْلَمَ قال خَوَّاتَ بن جُبَيْرٍ ، قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي فَإِذَا أَنَا بنسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ ، فَأَعْجَبْنَنِي ، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي ، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُبَّتِهِ ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ؟ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِبْتُهُ واخْتَلَطْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَمَلٌ

لِي شَرَدَ ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الأَرَاكَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِي خَضِرَةِ الأَرَاكِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ ، فَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، أَوْ قَالَ : يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟ ، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فَجَعَلَ لا يَلْحَقُنِي فِي الْمَسِيرِ ، إِلا قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، واجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُجَالَسَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَقُمْتُ أُصَلِّي ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ حِجْرِهِ فَجْأَةً فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ ويَدَعُنِي ، فَقَالَ: طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأُبْرِئَنَّ صَدْرَهُ ، فَلَمَّا قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ ، فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمَ ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ ثَلاثًا ، ثُمَّ لَمْ يُعِدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ. أخرجه الطبرانى (203/4 ، رقم 4146) قال الهيثمى (401/9) رواه الطبرانى من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة. قال بعض العلماء: اجتهِد أن تستر العصاة ؛ فإن ظهور معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام ، وأولى الأمور ستر العيوب ، وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: "المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير. جامع العلوم والحكم" (1/ 82). لمّا ركب ابن سيرين الدّين وحبس به ، قال: إني أعرف الذنب الذي أصابني يا هذا ، عيّرتُ رجلاً منذُ أربعين سنة ، فقلت له: يا مفلس. وحكى أن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - كان له كاتب ، وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر؛ فقال يومًا لعقبة: إنَّ لنا جيرانًا يشربون الخمر ، وسأبلغ الشرَط ليأخذوهم ، فقال له عقبة: لا تفعل وعِظْهُمْ. فقال الكاتب: إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داعٍ لهم الشرَّط ليأخذوهم ، فهذا أفضل عقاب لهم. فقال له عقبة: ويحك. لا تفعل ؛ فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة). حكى الشعبي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جلس بين مجموعة من أصحابه ، وفيهم جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - وبينما هم جالسون أخرج أحد الحاضرين ريحًا ، وأراد عمر أن يأمر صاحب ذلك الريح أن يقوم فيتوضأ ، فقال جرير لعمر: يا أمير المؤمنين ، أو يتوضأ القوم جميعًا. فسُرَّ عمر بن الخطاب من رأيه وقال له: رحمك الله. نِعْمَ السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الإسلام. البداية والنهاية 61/8. قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي ، وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا قال: أغزوت الهند أو السند أو الترك؟ قلت: لا قال: أفسلم منك الروم ، والهند ، والسند ، والترك؟! ولم يسلم منك أخوك المسلم! كان معروف الكرخي قاعداً يوم على دجلة ببغداد فمر به صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويشربون فقال له أصحابه: أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء؟ ادع عليهم فرفع يديه إلى السماء وقال: الهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة. فقال له صاحبه: إنما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل ادع لهم ، فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم هذا. ابن المُلقِن: طبقات الأولياء 47/1. وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا وَكَانُوا يَسُبُّونَهُ ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلِيبٍ أَلَمْ تَكُونُوا تَسْتَخْرِجُونَهُ؟" قَالُوا: بَلَى . قَالَ: "فَلَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ ، وَاحْمَدُوا اللهَ الَّذِي عَافَاكُمْ" ، قَالُوا: أَفَلَا نَبْغَضُهُ؟ قَالَ: "إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلَهُ فَإِذَا تَرَكَ فَهُوَ أَخِي". البيهقي: شعب الإيمان 63/9. ثالثاً: الستر على العصاة ضوابط وحدود: الستر على العصاة في الإسلام له

حدوده وضوابطه ، فلطالما لم يجاهر العاصي بالمعصية ويتجرأ بها على الله ويحاول إفساد المجتمع بها ، فإنه يعذر ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: وَلاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: رَأَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَجُلاً يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ: يَا فُلاَنُ أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: لاَ وَاللهِ مَا سَرَقْتُ ، قَالَ: آمَنْتُ بِاللهِ ، وَكَذَّبْتُ بَصَرِي. أخرجه أحمد 383/2(8961). ثم تقدم له النصيحة الخالصة التي لا تفضح ولا تجرح! وأن لا يحاول المرء الاشتغال بعيوب الناس سببٌ في فضح عيوب المشتغِل ، والسكوت عن عيوب الناس سببٌ في ستر الله للعبد ، ومَن نظَر لعيوب نفسه شغلتْه عن عيوب الناس ؛ قال ـ صلَّى الله عليْه وسلَّم ـ: يبصر أحدكم القَذَى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. (صحيح) انظر حديث رقم: 8013 في صحيح الجامع. قال المباركفوري: "وأما الستر المندوب إليه فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد. فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه ؛ بل يرفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة ؛ لأن الستر على هذا يُطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله ؛ هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت. أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ، ومنعه منها على من قدر على ذلك ؛ ولا يحل تأخيرها ؛ فإن عجز لزم رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة". انظر: تحفة الأحوذي 215/8. أخرج عبد الرازق بن حميد والخرائطي عن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة المدينة ؛ فبينما هم يمشون إذ رأوا سراجًا متقدًا في بيت ، فانطلقوا يؤمونه ، فلما دنوا منه إذا باب مجاف "مغلق" على قوم لهم فيه أصوات عالية ولغط ، فقال عمر ؛ وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف: أتدري بيت مَن هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شُرب "أي يشربون الخمر جماعةً" فماذا ترى؟ قال عمر: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى (وَلا تَجَسَّسُوا) فقد تجسسنا ، فانصرف عنهم وتركهم. البيهقي في سننه الكبرى رقم: 17403 والدر المنثور (7/ 567). ولقد حث الإسلام على الستر لجميع الذنوب والمعاصي ولكن وفق الضوابط الشرعية ، يقول ابن حجر "في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم "ومَن سَتَرَ مُسلِمًا" ؛ أَي رَآهُ عَلَى قَبِيحٍ فَلَم يُظهِرهُ أَي لِلنّاسِ ، ولَيسَ فِي هَذا ما يَقتَضِي تَرك الإِنكار عَلَيهِ فِيما بَينَهُ وبَينَهُ ، ويُحمَلُ الأَمرُ فِي جَوازِ الشَّهادَةِ عَلَيهِ بِذَلِكَ عَلَى ما إِذا أَنكَرَ عَلَيهِ ونَصَحَهُ فَلَم يَنتَهِ عَن قَبِيحِ فِعلِهُ ثُمَّ جاهَرَ بِهِ. كَما أَنَّهُ مَأمُورٌ بِأَن يَستَتِرَ إِذا وقَعَ مِنهُ شَيء ، فَلَو تَوجَّهَ إِلَى الحاكِمِ وأَقَرَّ لَم يَمتَنِع ذَلِكَ والَّذِي يَظهَرُ أَنَّ السَّترَ مَحَلّه فِي مَعصِيَةٍ قَد انقَضَت ، والإِنكارَ فِي مَعصِيَةٍ قَد حَصَلَ التَّلَبُّس بِها فَيَجِبُ الإِنكارُ عَلَيهِ وإِلاَّ رَفَعَهُ إِلَى الحاكِمِ ، ولَيسَ مِنَ الغِيبَةِ المُحَرَّمَةِ بَل مِنَ النَّصِيحَةِ الواجِبَةِ ، وفِيهِ إِشارَةٌ إِلَى تَركِ الغِيبَةِ لأَنَّ مَن أَظهَرَ مَساوِئَ أَخِيهِ لَم يَستُرهُ. فتح الباري (97:5). إنه لينبغي الستر على المسلم ، ويكون الستر على المسلم الشاعر أكثر وأكثر ، خاصة إن كان قد سخر قلمه وشعره وأدبه في الذود عن القيم والمبادئ والمثل العليا! وتحت عنوان: (المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويفضح!) يقول الأستاذ موسى الأسود ما نصه بتصرف: (الستر على الناس مطلب شرعي ، وخلق اسلامي نبيل ، وعلى المسلم أن يكون محباً للستر على الآخرين ، لكي يستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فما من أحدٍ إلا وله ذنوبه وأخطاؤه ومعايبه ، يقول أحد السلف: لو كان للذنوب ريح لما استطاع أحد أن يجلس إلى أحد. وقد روي: لو تكاشفتم ما تدافنتم. يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خِزْيَةٍ سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ويقول عليه السلام: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم».

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ، وليس بخارج». وردغة الخبال: عُصارة أهل النار. وكل إنسان بحاجةٍ إلى ستر الله تعالى عليه. إن التشهير بالناس من الأمراض الخطيرة التي يتعدى شرها إلى كل فئات المجتمع ؛ فتطال أعراض الناس وحُرماتهم ، خاصة في ظل تطور مواقع التواصل الذي يشهده العالم ، حيث يتخذ المشهِّر التقنية سبيلاً للنيل من الآخرين والطعن فيهم وتشويه سمعتهم. والإسلام يدعو الى الستر وصيانة الأعراض وعدم تتبع عورات الناس والتشهير بهم ، فالله عز وجل ستير يحب الستر ، ويأمر عباده به. وقد جعل الله عز وجل الجزاء من جنس العمل. فمن ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته ، حتى يفضحه بها في بيته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم. فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته). وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على ستر العاصين ، فحينما زنى ماعز ، أمره رجل يسمى هزال بأن يذهب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويعترف أمامه بالزنى ، فقال صلى الله عليه وسلم لهزال: «لو سترته بثوبك كان خيراً لك». وهذا يفرض على كل مسلم ، إذا سمع عن أخيه ما يسوؤه أن يبادر بحسن الظن به ، ويرد غيبته حتى لا يشارك في الإثم. قال صلى الله عليه وسلم: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. وإذا شاهد خطيئة تتعلق بعرض أخيه المسلم ولم يجاهر بها فعليه أن يبادر بالستر وألا يفضح أمره أمام الناس ، ولا يتناقل الكلام. فالإنسان مطالب بالستر على من ليس معروفاً بالأذى والفساد. فلا ينبغي فضح امرئ ستر نفسه. فالإنسان الذي غلبته نفسه فعصى الله في السر ولم يجهر بمعصيته لا يجوز أن نفضحه ، وننشر خطأه بين الناس. ورد عن دُخين كاتب عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: قلت لعقبة إن لنا جيراناً يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشرطة فيأخذونهم. فقال: لا تفعل ، ولكن عظهم وتهددهم. قال: ففعل فلم ينتهوا. قال: فجاءه دُخين فقال: إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داع لهم الشرط. فقال عقبة: ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله يقول: من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها. وحذّر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من تعيير الناس بالذنوب فقال: من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله. وقال (صلى الله عليه وسلم): أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء ، يرى أن يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله تعالى أن يرميه بها في النار ؛ ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ..». كذلك يمكننا اتباع النصيحة للمسلم بدأ من التشهير بالأخطاء! وإذا كان الإسلام يدعو للستر على المخطئ فهذا ليس معناه أن نكون سلبيين معه ، أو أن نقف مكتوفي الأيدي أمام ما يرتكبه من أخطاء. ولكن يجب علينا أن ننصحه بالحكمة والموعظة. فالستر لا ينافي النصح بل يتطلبه. قال رسول (صلى الله عليه وسلم): «من رأي منكم منكرا فليغيّره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان». فإذا رأينا شخصا وقع في الخطأ يجب علينا أن نساعده في الإقلاع عن هذا الذنب ، ونفتح له باب الأمل في التوبة ، ونقدم له النصيحة بالرفق واللين. فالمؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر. ويجب أن تكون في السر لأن النصيحة على الملأ فضيحة. قال الإمام الشافعي: «من وعظ أخاه سرّا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه»).هـ. وإذن فكل ابن آدم خطاء ، وليس من أحدٍ إلاَّ وله خطأ لا يحب أن يَطَّلِع عليه أحد من الناس ، ولذلك كان السَّتْر على الناس خلق وهدي نبوي ، لما فيه من حفظ عورات

الْمسلمين وسترهم ، والإمساك عما يسوؤهم ، فتزداد المحبة وتُحفظ الأخوة بينهم ، فالمؤمن يستُر وينصَح ، ولا يهتك ويفضح . ومن صفات الله عز وجل أنه ستِّير ، يستر الذنوب والعيوب ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ، يحب الحياء والسِّتْر) رواه أبو داود وصححه الألباني ، أي: يحب السترَ لعباده المؤمنين ، ستر عوراتهم ، وستر ذنوبهم ، فيأمرهم أن يستروا عوراتهم ، وأن لا يجاهروا بمعاصيهم في الدنيا ، وهو يسترها عليهم في الآخرة ، ومما لا شك فيه أن العاصي والمخطئ له حق على مجتمعه ، يتمثل في نصحه بأفضل الطرق وأحسنها مع الستر عليه ، والأصل فيمن رأى منكراً أو خطأً أن يقوم - برفق وحكمة - بالإنكار على فاعله ونصحه مع الستر عليه وعدم التشهير به ، ومن ثم كان صلوات الله وسلامه عليه إذا رأى شيئًا يُنكره ويكرهُه من أحد ، عرَّض وألمح ، ولم يُصَرِّح باسم فاعله ، فعن عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ، يُكنى عنه ولا يسمى فاعله). رواه أبو داود وصححه الألباني. والسيرة النبوية مليئة بالمواقف والأحاديث في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالستر على المخطئ وعدم فضحه والتشهير به ، ومن ذلك: - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته ، حتى يفضحه بها في بيته). رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قال المنذري: "ستر المسلم هو تغطية عيوبه وإخفاء هنَّاته (زلاته وهفواته وقبائحه)". - وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يستر عبد عبداً في الدّنيا إلّا ستره الله يوم القيامة). - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة). رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قال ابن حجر: قوله: (ومن ستر مسلماً) أي: رآه على قبيح فلم يظهره - أي للناس - ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه". وقال المناوي: "(من ستر أخاه المسلم في الدنيا) في قبيح فعله ، وقوله: (فلم يفضحه) بأنِ اطَّلع منه على ما يشينه (يعيبه) في دينه أو عِرْضِه أو ماله أو أهله فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحدث ، (ستره الله يوم القيامة) أي: لم يفضحه على رؤوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه ، بل يسهل حسابه ويترك عقابه ، لأن الله حَيي كريم ، وستر العورة من الحياء والكرم". - وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم أخو المسلم ، لا يظلِمه ولا يُسلِمُه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كُرْبةً ، فرَّج اللهُ عنه بها كُرْبة من كُرَب يوم لقيامة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله يوم القيامة). وفي قصَّة ماعز بن مالك الأسلمي عندما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعترف على نفسه بالزِّنى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أشار عليه أن يأتي إليه ويقر على نفسه بالزنى: (يا هَزَّال ، لو سَتَرْته بردائك كان خيراً لك). رواه أحمد وصححه الألباني. قال أبو الوليد الباجي: "وقوله صلى الله عليه وسلم لـهَزَّال: (يا هَزَّال ، لو سَتَـرْته بردائك كان خيراً لك) ، يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره ، فكان ستْره بأن يأمره بالتَّوبة ، وكتمان خطيئته ، وإنَّما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة ، بمعنى أنَّه لو لم تجد السَّبيل إلى سِتْره إلَّا بأن تَسْتُره بردائك ممَّن يشهد عليه ، لكان أفضل ممَّا أتاه ، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه". وقال ابن الأثير: "(ألَا سَتَرْته بثوبك يا هَزَّال) ، إنما قال ذلك حُبّاً لإخفاء الفضيحة ، وكراهيةً لإشاعتها". وفي مصنف عبد الرزاق عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال:

"لوْ لمْ أجِدْ للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه" ، وفي تفسير الطبري: "عن عامر قال: أتى رجل عمر فقال: إن ابنةً لي كانت وُئِدت في الجاهلية فاستخرجْتُها قبل أن تموت ، فأدْركَت الإسلام ، فلما أسلمت أصابت حداً من حدود الله ، فعمدتْ إلى الشفرة لتذبح بها نفسها ، فأدركتُها وقد قطعت بعض أوداجها (عروقها) ، فداويتُها حتى برِئت ، ثم إنها أقبلت بتوبةٍ حسنةٍ ، فهي تُخْطَبُ إليّ يا أمير المؤمنين ، أفأخبر من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر: أتُخْبِرُ بشأنها؟! تعْمَد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرتَ بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار ، بل أنكحها (زَوِّجْها) بنكاح العفيفة المسلمة". أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بالستر عامة والستر على ذوي العثرات من أصحاب الفضل والخير خاصة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة) رواه مسلم ، قال النووي: "وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد" ، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود). رواه أبو داود وصححه الألباني ، قال ابن القيم في قوله صلى الله عليه وسلم: (ذوي الهيئات): "الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصّهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم ، فمن كان منهم مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده ، وأديل عليه شيطانه فلا نسارع إلى تأنيبه وعقوبته ، بل تُقال عثرته ما لم يكن حداً من حدود الله فإنه يتعيّن استيفاؤه من الشريف كما يتعيّن أخذه من الوضيع ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). متفق على صحته ، وهذا باب عظيم من أبواب محاسن هذه الشريعة الكاملة ، وسياستها للعالم ، وانتظامها لمصالح العباد في المعاش والمعاد". وقال الذهبي: "إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعُلِم تحريه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرِف صلاحه وورعه واتباعه ، يُغفر له زلته ، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه ، نعم ، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك". الأخطاء والذنوب إذا اقتصرت على صاحبها وفاعلها، ولم يتحصل منها ضرر على الناس ، فإن باب النصيحة هو المتعَيَّن ، وباب الستر مؤكد ، وأمر المذنب والمخطئ إلى ربه ، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، وقال ابن عثيمين: "فالستر قد يكون مأموراً به محموداً ، وقد يكون حراماً ، فإذا رأينا شخصاً على معصية ، وهو رجلٌ شرير منهمك في المعاصي ، لا يزيده الستر إلا طغياناً ، فإننا لا نستره ، بل نبلغ عنه حتى يُردع ردعاً يحصل به المقصود". والستر على المخطئ هدي وخلق نبوي ، وهو لا يعني إقراراً لخطأ المخطئ ، ولا تهويناً من زلته ، ولكنه ـ مع الإنكار عليه ومناصحته ـ يأخذ بيده ليستمر في سيره إلى الله ، ويفتح له باب التوبة وتصحيح الخطأ ، إذ ربما يفقد الإنسانُ حياءه عندما تُكْشَف أخطاؤه ، فيتجرَّأ على المزيد من الخطأ ، وقد حثّنا النبي صلى الله عليه وسلم على الستر بفعله وقوله ، وبين لنا أجره وفضله الكبير ، فقال صلى الله عليه وسلم: (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة).هـ. وتحت عنوان: (الستر على العاصي أخلاق وضوابط) يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه: دعانا الشارع الحكيم إلى التجاوز عن العورات والستر على أصحاب المعاصي والسيئات ، وجعل ذلك من الأخلاقيات الطيبة التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ، فالله تعالى لا يحب أن يجاهر الإنسان بكلام السوء ولا بإشاعة السوء ، قال تعالى: "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ

الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. أخرجه أحمد و"البُخاري". فكل ما كان سيئًا من القول ، فالجهر به لا يحبُّه الله عزَّ وجلَّ ، والتفتيش عن عيوب الناس وتتبع عوراتهم وسوء الظن بهم ليس من أخلاقيات المؤمن ، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا". قال المُفسِّرون: التجسسُ: البحثُ عن عيبِ المسلمين وعورتهم ، أمَّا خَيْر الخلق وأَعْرفُ الخلق بما يُرضي الله ـ تعالى ـ فقد كان عظيمَ الحياء ، عفيفَ اللِّسان ، بعيدًا عن كشف العورات ، حريصًا على كَتْم المعائب والزلاَّت ، كان إذا رأى شيئًا يُنكره ويكرهُه ، عرَّض بأصحابه وألمح ، كم من مرَّة قال للناس: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا) ، (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا). ففي تتبع عورات الناس وفضحهم نشر للرذيلة بين العباد ، وحباً لإشاعة الفاحشة بينهم ، وهو ما حذرنا الله تعالى منه ، قال سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ". لذا فقد اهتم علماء الإسلام بهذا الباب المهم من أبواب الأدب ، فقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب الأدب من صحيحه (باب ستر المؤمن على نفسه) ثم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك ، وبوب أيضاً في كتابه الأدب المفرد (باب من ستر مسلماً). وبوب الإمام النووي رحمه الله في كتابه شرح صحيح مسلم: (باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه). ثم ساق الأحاديث ، وبوب ابن ماجة في سننه في كتاب الحدود (باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات) ، أما الفقهاء وأصحاب السلوك فقد بوب البغوي رحمه الله) باب النهي عن تتبع عورات المسلمين ، وباب الستر) ، وفصل في ذلك ابن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية. وكذلك المفسرون عنو بهذا الموضوع عند ذكر الآيات الدالة كابن كثير في تفسيره. والستر معناه: تغطية المسلم عيوبه وإخفاء هناته ، وعدم كشفها للناس مع طلب التوبة والندم عليها ، وتيقنه بأن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهارِ، وَيبْسُطُ يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. أخرجه أحمد ومسلم. وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جاءتْها امرأةٌ ، فأخبرتها أنَّ رجلاً قد أخذ بساقها وهي مُحرمة ـ أي: حاول كشف عورتها ـ فقاطعتها عائشةُ ، وأعرضت بوجهها وقالت: "يا نساءَ المؤمنين ، إذا أذنبتْ إحداكُنَّ ذنبًا ، فلا تخبرن به النَّاس ، ولتستغفر الله ، ولتتب إليه ؛ فإنَّ العباد يُعيِّرونَ ولا يُغيِّرون ، والله يُغَيِّر ولا يُعيِّر. مكارم الأخلاق للخرائطي).هـ. وجاء في الدرر السنية ما نصه: (الستر أنواع: <u>أولها</u>: ـ ستر المسلم نفسه: (المسلم عليه أن يستر نفسه ، فلا يُشْهر خطاياه أمام الخَلْق ، ولا يذكر زلَّاته أمام النَّاس ، ولو كانوا أصدقاءه ، إلَّا على وجه السُّؤال والفتيا ، دون تحديد أنَّه الفاعل ، سيَّما عند من يعرفه)! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلُّ أمَّتي معافى إلا المجَاهرين ، وإنَّ من المجَاهرة أن يعمل الرَّجل بالليل عملًا ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يَسْتُره ربُّه ، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه)! وقال صلى الله عليه وسلم: (أيُّها النَّاس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليَسْتَتر بسِتْر الله)! <u>ثانياً</u>: ستْر المسلم لإخوانه المسلمين: وكما يَسْتُر المسلم نفسه ، عليه أن يَسْتُر إخوانه المسلمين ، إذا

رأى منهم عيبًا أو خطأً ، قال صلى الله عليه وسلم: (من نفَّس عن مؤمن كُرْبةً من كُرَب الدُّنيا ، نفَّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب الآخرة ، ومن سَتَر على مسلم ، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة ، والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه)! ستْر الميِّت: إذا غسَّل المسلم ميِّتًا ، فرأى فيه شيئًا معيبًا ، فعليه أن يَسْتره ، ويكتم أمره ، قال صلى الله عليه وسلم: (من غسَّل ميِّتًا، فكتم عليه، غَفَر الله له أربعين مرَّةً)! والوسائل المعينة على اكتساب صفة السَّتْر: أولاً: أن تعلم فضل السَّتْر، وأنَّ من سَتَر أخاه المسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة. ثانياً: أن تستشعر معنى أخوة الإيمان ، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في تَوَادِّهِم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عُضْو ، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى)! ثالثاً: أن تضع نفسك مكان أخيك الذي أخطأ وزلَّ ، فهل تحبُّ أن تُفْضَح أم تُسْتَر؟ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم، حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه) ، وعن عكرمة أنَّ ابن عبَّاس ، وعمَّارًا ، والزُّبير - رضي الله عنهم جميعًا - أخذوا سارقًا ، فخلوا سبيله ، فقلت لابن عبَّاس: (بئسما صنعتم حين خلَّيتم سبيله ، قال: لا أمَّ لك ، أما لو كنت أنت ، لسرَّك أن يُخَلَّى سبيلك)! رابعاً: أن ينشغل العبد بإصلاح نفسه: قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ، لن تنال حقيقة الإيمان حتَّى لا تعيب النَّاس بعيب هو فيك ، وتبدأ بذلك العيب من نفسك ، فتصلحه ، فما تصلح عيبًا إلَّا ترى عيبًا آخر ، فيكون شغلك في خاصَّة نفسك). وقيل لربيع بن خُثَيْم: ما نراك تعيب أحدًا ، ولا تذمُّه! فقال: ما أنا على نفسي براضٍ ، فأتفرَّغ من عيبها إلى غيرها)!.هـ. وإذن فالهدف من إيراد هذه الآيات وتلك الأحاديث وهاتيكم الطائفة العطرة من أقوال سلفنا الكرام لندلل أن عرض المسلم لا يجوز النيل منه بدون وجه حق! والشاعر قبل أن يكون شاعراً هو أخ لنا في الإسلام ينبغي معاملته برفق وحسن ظن! ولا يزال الشعراء يخطئون ويصيبون من قبل امرؤ القيس إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها! ولا يزال الكل يستدرك عليهم ويصحح لهم!

وتحت عنوان: (أخطاء الشعراء الكبار) يقول الأديب الأستاذ بداح السبيعي ما نصه: (تأثر الشاعر المبتدئ بشعراء أكبر سنّاً منه وأسبق في نظم الشعر عملية طبيعية يمر بها جميع الشعراء أو معظمهم ، ويأتي التأثر في الغالب بعد مرحلة الإعجاب بشاعر معين ، فيحرص الشاعر المبتدئ على تتبع خطواته والنظم على مِنواله ، وبعد ذلك تكون مرحلة التحرر التي يحاول فيها الشاعر التفوق على نموذجه الشعري وإبداع شيءٍ مختلفٍ لا يُحيل المتلقي على نموذج سابق بصورةٍ صريحة. ومن الأمور السيئة التي ترتبط بمرحلة التأثر - وقد تستمر طويلاً - إعجاب الشاعر الشاب بكل ما نظمه الشاعر الكبير أو المشهور وتقليده تقليدًا أعمى ، واستبعاده لمسألة وقوع شاعره المفضل في أي أخطاء ، وينتج عن هذا الإعجاب والتقليد تكرار نفس الأخطاء التي يقع فيها أستاذه والدفاع عن تلك الأخطاء باستماته. والمشكلة الواضحة في تعاملنا مع أخطاء الشعراء هي أن الناقد يمتلك جرأة كبيرة في نقد أصغر أخطاء الشعراء المبتدئين أو المغمورين ، أمّا عندما يتعلق الأمر بنقد أخطاء الشعراء الكبار والمعروفين فإن الجرأة تتلاشى كليًا ، وقد نجد الناقد يغض الطرف عن أخطاء الشاعر الصريحة أو يقوم بمحاولة إيجاد تأويلات هزيلة يلتمس فيها الأعذار له ، لتصبح تلك الأخطاء مع مرور الأيام حُجة يحتج بها الشاعر المبتدئ لتبرير خطئه حين يقع في نفس الخطأ. وفي عصور أدبية ماضية رأينا جرأة كبيرة من بعض المتلقين في نقد أخطاء الشعراء الكبار بشفافية

، ومن دون خوف من عواقب النقد ، ومن ذلك على سبيل المثال نقد محمد بن موسى الملقب بـ "سيبويه الموسوس" لبيت المتنبي الشهير الذي يقول فيه:

ومــن نكــد الــدنيا علــى الحــر أن يــرى عــدوًا لــه مــا مِــن صــداقته بُــدُ

فقد رأى بأن هناك ألفاظًا أكثر صحة ودقّة في الاستخدام من لفظ "صداقته" في هذا السياق ، وعندما قابله المتنبي وخاطبه مُستفهمًا: "بلغني أنك أنكرت عليَّ قولي: عدوًا ما من صداقته بُد ، فما كان الصواب عندك؟" ، لم يتردد في توضيح رأيه والقول: "إنّ الصداقة مشتقة من الصدق والمودة ، ولا يسمى الصديق صديقًا وهو كاذب في مودته ، فالصداقة إذن ضد العداوة ، ولا موقع لها في هذا الموضع ، ولو قلت مداراته أو مداجاته لأصبت". وهذا نموذج من نماذج كثيرةٍ جدًا ، ينتقد فيها المتلقي خطأ الشاعر المعروف ، ولا يتردّد في تقديم اقتراحات أو خياراتٍ أفضل تزيد من جودة القصيدة ، وعملية نقد أخطاء الشعراء المعروفين على مستوى الألفاظ أو الصور الشعرية أو المعاني عملية ضرورية تساهم في إيقاف الأخطاء التي يتكرّر من الشعراء الشباب الوقوعُ فيها والدفاعُ عنها بحجة وجودها في أشعار السابقين).هـ. وتحت عنوان: (لماذا يجوز للشاعر ما لا يجوز للكاتب؟!) يقول أستاذنا فهد عامر الأحمدي ما نصه: (اتفقت العرب قديماً وحديثاً على أنه "يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره". بمعنى أنه يجوز له كل شيء وفعل أي شيء ـ من مخالفة اللغة وكسر القواعد ، إلى هجاء السادة والتغزل بالحرائر! وبصفتي عضواً في رابطة "الكتاب في الأرض" تتملكني الغيرة ويأكلني الغيظ من هذا التهاون وسعة البال تجاه الشعراء. أتمنى لو يتبنى المجتمع ـ والنقاد من باب أولى ـ قانوناً موازياً وبنداً مشابهاً مفاده: "يجوز للكاتب مالا يجوز لغيره"! فمن حيث اللغة ؛ يجوز للشاعر ليّ القوافي ومخالفة القواعد واللجوء إلى الضعيف والواهي حتى وصل الأمر حداً خطيراً من التكسير والتجاوز (هذه الأيام) مع ما ندعوه بالشعر النبطي. حتى المتنبي لم يسلم من مواطن الزلل بدليل الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية في كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومة" للجرجاني. ولم يكن للجرجاني من عذر وحجةٍ حيال أخطاء المتنبي سوى العذر القديم (حسناً ، يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره). وحين يتسع الفتق على الراقع يلجأ لتبرئة ساحة المتنبي من خلال إيراد أخطاء أكثر شناعة وقع فيها شعراء فطاحل من العصر الجاهلي وهذا في نظري مجرد تبرير الخطأ بالخطأ! ولو كنت مؤلف الكتاب لما سلمت بدوري من التحيز للمتنبي ، ولكنني كنت سأسلك طريقاً أكثر عقلانية وسلامة وإقناعاً للناس. سأقول: إن المتنبي رجلٌ مبدعٌ خلق بمخالفاته اللغوية قواعد لغوية جديدة وأساليب مبتكرة في النحو والإملاء. علمنا أشكالاً جديدة من التراكيب النحوية والتوافيق اللغوية والبدائل الإملائية. وإن لم يرق هذا الرأي لحُماة اللغة العربية والقواعد الحجرية سأسألهم بلا تردد: لماذا إذاً تطالبون الكتّاب بالكمال ، وتتغاضون عمن يتبعهم الغاوون! لماذا تتم محاسبة كتّاب ومفكرين لا يسعون لاستعراض مهاراتهم اللغوية (بقدر إيصال رسالتهم من خلال لغة يفهمها الناس) في حين يتم التجاوز عن شعراء تعد "اللغة المتقنة" عماد بضاعتهم وصميم عملهم بصرف النظر عن فهم الناس أو كما قال البحتري:

علــيّ نحــت القــوافي مــن معادنهــا ومــا علــيّ إذا لــم تفهــم البقــرُ!

ولست من دعاة العامية ، ولكنني على قناعةٍ بأن الوظيفة الأساسية لأي لغة هي إيصال المعاني بدقة ووضوح وفهم كاملين. وهذان المطلبان لا يتحققان إذا تقيدنا بكل الكلمات والتعابير القديمة واعتبرنا كل الكلمات والتعابير الجديدة أخطاء! وتجاوزاً لقواعد النحو! على أي حال ؛ لاحظوا أننا مازلنا نتحدث عما ندعوه لغة فصحى. فالشق الثاني من الموضوع هو الازدواجية والتساهل مع الشعراء في قضايا (يفترض) أنها حساسة ودقيقة في أعرافنا العربية. فالعرب قديماً ـ كما هو حديثاً ـ كانوا يتقاتلون على "التمرة" ويختلفون على "النواة" وعلى من سبق الآخر "داحس" أم الغبراء". ومع ذلك كانت أشرس القبائل تتساهل ـ وبل تستأنس ـ حين يتغزل الشاعر ببناتها ويصف محاسنهن وطيب السمر معهن خارج مضارب القبيلة. ولو عدنا لسير التابعين والصالحين لوجدنا لبعضهم أبياتاً في الشعر والغزل لم تهز مكانتهم أو تقلل من قدرهم أو تثير حفيظة العامة ضدهم. وحتى وقت قريب كان لدينا في المدينة شيخ جليل (أتحفظ على اسمه) له دروس منتظمة في الحرم يحرص الناس على حضورها وتسجيلها. وذات يوم لاحظ أحد طلابه أنه ـ كلما انصرف من حوله الناس ـ سحب كتيباً (من داخل المشلح) يقرأ فيه ثم يخفيه حين يقدم عليه أحد. فسأله الطالب ما هذا يا شيخ؟ فقال هامساً: "مصارع العشاق" نروح بها القلوب كي لا تصدأ! ومرة أخرى أطالب بأن يكون للكتّاب ـ أسوة بالشعراء ـ نصيبٌ من سعة البال وافتراض حسن النية. ويا حبذا لو تبدأ أقسام التصحيح في مؤسساتنا الصحفية بتبني هذا المبدأ!).هـ. وأشكر للأديب الأستاذ فهد عامر الأحمدي هذه النفحات التي استعنا بها هنا في هذا التقديم للقصيدة لندلل أن الشعراء ليسوا أنبياء لتكون قصائدهم وحياً منزلاً لا سبيل إلى إيراد الخطأ فيه ولا الاستدراك عليها! ولقد يفهم من كلامي أنني لا أفرق بين الضرورات الشعرية التي كتبها وحددها علماء العروش والقافية لكل شاعر ، وبين الأخطاء التي يقع فيها الشاعر إن بقصد أو بغير قصد! إن الفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض! وتحت عنوان: (الضرورة الشعرية والخطأ اللغوي) يقول الأديب الأستاذ رمزي العبيدي ما نصه: (إنَّ الضرورة الشعرية هي: ما اعتاد النحاة القدامى أنْ يطلقوه على ما ورد في شواهدهم الشعرية ـ التي يريدونَ منها إثبات صحَّة قاعدةٍ نحوية أو فرعٍ منها قد يكون نادراً أو شاذاً ـ من الشواذ والنوادر التي وردَتْ في شعر العرب الأقدمينَ من الجاهلية حتى بشار بن برد (65 - 167هـ) - (713 - 783م) ، فقد كان آخر الشعراء الذين استشهد سيبويه بشعره ، ذلك بعد أنْ هدَّده بشار بأنَّه سيهجوه شعراً وينال منه إذا لم يستشهد بأشعاره ، ففعل سيبويه مرغماً ، ولأنَّ سيبويه فعل ، فقد استشهد غيره بشعرٍ لبعض شعراءٍ غير ابن برد من الذين سبقوه ، وانتهى الاستشهاد الشعري به ، وكانتْ نيَّة سيبويه أنْ يوقف الاستشهاد حتى بشعراء النقائض ـ جرير والفرزدق والأخطل والراعي النميري ـ لذا فلا ضرورة لشاعر بعد بشار بن برد ، وما ورد في أشعار مَن توفي بعد عام (167هـ - 738م) فإنَّه يقع في باب الخطأ اللغوي. فقد عاب النقاد على أبي نواس قوله في بيت من بحر مجزوء الكامل العروضي:

نبِّـــــهْ نَـــــدِيْمَكَ قَـــــد نَعـــــسْ يَسْـــــقِيْكَ كَأسَـــــاً فِـــــي الغَلَـــــس

والصحيح أنْ يقول: (يَسْقِكَ) بجزم جواب الأمر بحذف حرف العلة الذي هو الياء ؛ وعابوا عليه قوله:

كَمَـــــنَ الشَّـــــنّآنُ فِيـــــهِ لَنَـــــا كَكُمُـــــونِ النـــــار فِـــــي حَجَـــــرِه

والصواب أنْ يقول: (حجرها) ، لأنَّ النار مؤنَّثة ، وقد أخطأ في رأيي غير المتواضع مَن أوَّله على وجهٍ لا ضرورة فيه ، بأنْ قال بأنَّ أبا نواس يقصد أو يريد أنْ يقول: (كَكُمُون النارِ في حَجَر الكمون) باعتبار أنَّ (الكمون) هو مذكر مضاف إلى النار ، وقد كذب أبو نواس على نفسه وعلى الناس عندما فسَّر هذا البيت على وجهٍ ليس فيه ضرورة ، بأنْ قال: (ردَدْتُ التذكير إلى النور) بمعنى أنَّه قصد ما يلزم من النار والذي هو نورها ، فقد أخطأ ورفض الاعتراف بخطئه واستخدم ذكاءه في التأويل والتبرير ؛ وتسألني لمَ ترفض التأويلينِ اللذين يبدوان للوهلةِ الأولى مقنعينِ؟ ، أقول: لقد حكمته القافية فالبيت من قصيدةٍ له مطلعها:

أيُّهـــــا المُنْتَـــــابُ عَـــــن عُفْـــــرِه لَسْـــــتَ مِـــــن لَيْلِـــــي ولا سَـــــمَرِه

لاحظوا أنَّ أبا نواس لزم في هذا المطلع ما لا يلزم في التقفية ؛ وعابوا عليه في نفس القصيدة ، قوله:

كَيْـــــفَ لا يُـــــدنِيْكَ مِـــــن أمَـــــلٍ مَـــــن رَسُـــــولُ الله مِـــــن نَفَـــــرِه

وما نقدوه إلا لأنَّه قلب المعنى بسبب القافية التي حكمته وتحكَّمَتْ به ، فالمعنى الأصلي هو: (مَن هو من نفر رسول الله) ، ودافع عن أبي نواس بعض النقاد بأنْ توهَّموا أو حاولوا إيهامنا بأنْ قولته هنا ليس فيها خلل ، بأنْ ادَّعوا أنَّه مَن كان من نفر رسول الله فرسول الله من نفره! ، ففي هذا عندي مغالطة كبيرة وقلبٌ للمعاني أيضاً ، ولا أريد التفصيل وأكتفي بالإشارة إلى هذه المغالطة وأصفها بالكبيرة ، حتى لا يكفِّرونني! ؛ والأبيات من بحر عروضي هو مجزوء الكامل. وعابوا عليه في البحر الطويل قوله:

شُمولاً تَخَطَّتها المَنُونُ فَقَد أَتَتْ سِنُونٌ لَهَا فِي دَنِّهَا وَسِنُونُ

تُرَاثُ أُنَاسٍ عَن أُنَاسٍ تخَرَّمُوا تَوارَثَهَا بَعدَ البَنِينِ بَنُونُ

شُـــمولاً تَخَطَّتهـــا المَنُـــونُ فَقَـــد أَتَـــتْ سِـــنُونٌ لَهَـــا فِـــي دَنِّهَـــا وَسِـــنُونُ

تُـــرَاثُ أُنَـــاسٍ عَـــن أُنَـــاسٍ تخَرَّمُـــوا تَوارَثَهَـــا بَعـــدَ البَنِـــينِ بَنُـــونُ

قالوا رفع نون الجمع ، وقد أجاز النحاة لغيره من الشعراء ذلك في الضرورة الشعرية ، وليس لأبي نواس ضرورة شعرية كما شرحْتُ وبيَّنْتُ ، لكنَّ بعض العرب يجرونَ النون الزائدة مجرى الأصلية فيعربونها في الشعر وغيره ، ويجعلونها بمثابة كلمة واحدة مع ما اتصلتْ به ، فإذا كان أبو نواس من هؤلاء فلا خطأ عنده ، وهذا الموضوع ـ موضوع النون الزائدة ـ فيه خلاف

وفيه نظر ؛ وعندي: إنَّ أبا نواس أخطأ وتمادى في الخطأ. كما عابَ نقاد الشعر على أبي تمَّام قوله:

مِــن كُــلِّ أظمَــى الثَــرَى وَالأرضُ قَــد نَهِلَــتْ وَمُقشَــعِرّ الرُبَــا وَالشَــمسُ فِــي الحَمَــلِ

البيت من بحر البسيط العروضي ، والصحيح أنْ يقول: (ظمآن الثرى) لا (أظمى الثرى) ، لأنَّ الواحدة (ظمأى) كـ (عطشان وعطشى) ، ولا ضرورة فيه إذا قصد أبو تمَّام بـ (أظمى) معنى آخر هو: (أسود) ، فكأنَّه أراد سواد التراب أو سماره ، فقد قالتِ العرب: (رمحٌ أظمى) إذا كان أسمر ، و (فتاة ظمياء) إذا كانت كذلك. وعابوا عليه قوله:

أظَــنُّ دُموعَهــا سَــنَنَ الفَريــدِ وَهِــي سِــلكَاهُ مِــن نَحــرٍ وَجيــدِ

فقد أراد أنْ يقول: (أَظُنُّ سَنَنَ دُموعَها سَنَنَ الفَريدِ) ، فـ (السَنَن: الطريق) ، فهو يشبِّه تتابع الدموع بتتابع الفريد النادر ، وكان الصحيح أنْ يقول: (أظنُّ دموعها الفريد) لأنَّه هو الذي يشبه الدموع لا طريقه ، ولو قال ذلك لاختلَّ عنده البحر العروضي الذي هو الوافر. أمَّا المتنبي ـ مالئ الدنيا وشاغل الناس ـ فقد عابوا عليه قوله:

خَلَــتِ الــبِلادُ مِــنَ الغَزَالَــةِ لَيلَهَــا فَأَعَاضَــهَاكَ اللّهُ كَــي لا تَحزَنَــا

هذا البيت من البحر الكامل ، وهو آخر بيتٍ من قصيدةٍ للمتنبي مطلعها:

الحُــبُّ مَــا مَنَــعَ الكَــلامَ الألسُــنَا وَألَــذُ شَــكوَى عَاشِــق مَــا أعلَنَــا

ختم المتنبي هذه المطولة الرائعة ببيت فيه ضعفٌ في التأليف ، فقد وصل الضميرينِ اللذينِ كان يجب عليه فصلهما في قوله: (فَأَعَاضَهَاكَ) ، ليس هذا فقط بلْ قدَّم فيهما الواجب تأخيره ، وهو الهاء ، فالصواب أنْ يقول: (فأعاضكَ الله إيَّاها) ، ولو قال كذلك لتهدَّم عنده بحر الكامل العروضي. ومن نفس البحر عابوا عليه في قصيدةٍ أخرى قوله مكرِّراً الضمير:

جَفَخَــتْ وَهُــم لا يَجفَخُــونَ بِهَــا بِهِــم شِــيَمٌ عَلَــى الحَسَــبِ الأغَــرِّ دَلائِــلُ

فقد لجأ المتنبي إلى التعقيد اللفظي ليُسَوِّي أو يستوي عنده البحر العروضي ، فقد كان كلامه خفيَّ الدلالة على المعنى المراد ، فالألفاظ غير مرتبة وفق ترتيب المعاني ، والسبب تكرار الضمير ، فقصده أو أصل الكلام عنده: (جفخَتْ بهم شيم دلائلٌ على الحسب الأغرِّ ، وهم لا يجفخونَ بها) ، وبهذا البيت شوَّه رائعته التي ورد فيها ومطلعها:

لَــكِ يــا مَنــازِلُ فــي القُلــوبِ مَنــازِلُ أقفَــرْتِ أنــتِ وَهُــنَّ مِنــكِ أواهِــلُ

ومن بحر الكامل أيضاً عابوا عليه قوله:

هَــذي بَــرَزْتِ لَنــا فَهُجْــتِ رَسِيْسَــا ثُــمَّ اِنثَنَيْــتِ وَمَــا شَــفَيْتِ نَسِيْسَــا

فقد أخطأ بأن أسقط حرف النداء (يا) مع المبهم الذي هو (هذي) ، فالصحيح أنْ يقول: (يا هذي ، أو يا هذه). وعابوا عليه من بحر الكامل كذلك قوله:

جَلَــلاً كَمَــا بِــيَ فَليَــكُ التَبــرِيحُ أغِــذاءُ ذَا الرَشَــأِ الأغَــنِّ الشِــيحُ

فالصحيح أنْ يقول: (فليكنْ التبريحُ) ، فنون (كان) المحذوفة عند الجزمِ يجب إعادتها إذا لاقَتْ الألف واللام ، وهنا أخطأ المتنبي خطأ نحوياً شنيعاً. وعابوا عليه أيضاً قوله:

أحَــادٌ أم سُــداسٌ فِــي أحَــادِ لُلَيْلَتِنَــا المَنوطَــةَ بِالتَنــادِ

فقد أخطأ في هذا البيت الذي هو من بحر الوافر في ثلاثة مواضع ، أولها: أنَّه صرَّف (أحاد) الممنوع من الصرف ، وثانيها : قوله (سداس) والعرب لم تجاوز في العدد (رباع) ، وآخرها : إنَّه حذف الياء من آخر تصغيره لـ (ليلة) ، فقد قال: (لُيَيلَتُنَا) ، والصحيح أنْ يقول: (لُيَيلَيتُنا) ؛ هذا ما قاله عنه نقاد الشعر ، وفيه أقول: إنَّه أخطأ في صرف (أحاد) الممنوع من الصرف في موضعينِ ، وأخطأ في تصغير (ليلة) ، لكنَّه لم يخطأ في قوله (سداس) لأنَّ القياس لا يمنع ، ولا يعتدُّ بأنَّ العدد (رباع) هو أعلى ما ورد في قرآن المسلمينَ ، لأنَّه ورد في تحديد أعلى عدد للزوجات التي يحقُّ للمسلم الواحد أنْ يجمعها على ذمَّته في وقتٍ واحد ، والقياس لا يمنع كما قلنا ، جاء في شعر الكميت بن زيد الأسدي ما لمْ يعترضْ عليه النحاة ، أو يعتبروه من الضرورات الشعرية ـ باعتبار أنَّ للكميتِ ضرورة ـ قوله في بيت من بحر المتقارب:

فَلَــمْ يِتَريثَــوكَ حَتَّــى رَمَيْــ ــتَ فَــوقَ الرِجَــالِ خِصَــالاً عُشَــارَا

وعابوا على المتنبي أيضاً قوله:

واحَــرَّ قَلبَــاهُ مِمَّــن قَلبُــهُ شَــبِمُ وَمَــن بِجِســمِي وَحَــالِي عِنــدَهُ سَــقَمُ

البيت من بحر البسيط العروضي ، أخطأ فيه المتنبي بأنْ وصل المندوب وحرَّك الهاء الساكنة التي تدخل في الوقف ، كما أنَّه أسقط الياء من المضاف إليه ، فالصحيح أنْ يقول (واحرَّ قلباه). وعابوا عليه من بحر البسيط نفسه قوله:

ابعِــدْ بَعِــدْتَ بَياضــاً لا بَيَــاضَ لَــهُ لأنــتَ أســوَدُ فِــي عَينِــي مِــنَ الظُلَــمِ

الصحيح أنْ يقول: (أشدُّ سواداً) ، فلا يصحُّ لغة أنْ تقول: (هذا أسود من هذا) ، بل: (هو أشدُّ سواداً) ، وفي التعجب لا يصحُّ قولك: (ما أسودَه) ، بلْ تقول: (ما أشدَّ سواده) ، وقد استغرب نقاد الشعر من المتنبي وأنكروا عليه قوله هذا وهو في معنى التعجُّب. ومن البحر الطويل عابوا عليه قوله:

حَمَلْــــــتُ إلَيـــــهِ مِــــــن لِسَــــانِي حَديقَــــــةً سَــــقَاها الحِجَـــى سَـــقيَ الرِيَـــاضَ السَـــحَائِبِ

فقد فرَّق المتنبي بين المضاف والمضاف إليه وخفضه ـ أي أبقاه مجروراً ـ فالصحيح والصواب أنْ يقول: (سقيَ السحائبِ الرياضَ) أو (سقيَ الرياضَ السحائبُ) ، والأمران لا يتناسبان ولا يلاءمانِ البحر العروضي وقافيته. لمْ يقتصر نقد نقاد الشعر العربي القدامى على هؤلاء الشعراء الثلاثة ـ (أبو نواس وأبو تمَّام والمتنبي) ـ الذينَ مثَّلْتُ لهم ، لكنَّني اخترتهم لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يمثِّل قامة شاخصة من قامات الشعر العربي ، فأبو نواس (146 ـ 198هـ ، 763 ـ 813م) هو أوَّل مَن خصَّ الخمرة بقصيدة منفردة ولم يسبقه إلى ذلك غيره ، وأبو تمَّام (188 ـ 231هـ ، 803 ـ 845م) هو رأس الشعراء المولِّدِينَ أو هو الأبرع في توليد المعاني ، أمَّا المتنبي (303 ـ 354هـ ، 915- 965م) فهو مالِئ الدنيا وشاغل الناس بأشعاره ومعانيها ؛ وربَّما اقتصر اختياري لهم أو عليهم لأنَّني وجدْتُ معظم شواهدهم التي نقلتها مجموعة في كتاب واحد هو: (ما يجوز للشاعر في الضرورة) لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيراوني ، وبإمكان القارئ الكريم أنْ يكتشف بعد أنْ يضع هذا الكتاب بين يديه أنَّني ردَدْتُ رواية الأبيات إلى صيغتها التي جاءَتْ بها في دواوين شعرائها ـ (أبو نواس ، وأبو تمام ، والمتنبي) ـ وكتبْتُ عليها تعليقاتي ورأيي الذي هو خاصٌ بي ، والذي ليس بالضرورة أنْ يتطابق مع رأي المصنِّف ورأيي والمحققينِ ، وقد كثر الاختلاف معهم أو قلَّ توافقي معهم جميعاً ، وقد أضفْتُ على تلك الشواهد شاهدينِ للمتنبي أحفظهما في ذاكرتي وتحققتُ منهما لدى مراجعتي لديوانه ، وأعرف غيرهما لكنَّني لا أريد الإطناب والإطالة أكثر ممَّا أطنبْتُ وأطلْتُ. وقد برع نقاد الشعر في جانبٍ آخر هو نقدهم للمعاني ، وبرع الشعراء كذلك في التأويل والتبرير والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة أكتفي بسوق بعضٍ منها: * قال أحدهم لبشار بن برد: إنَّك لتجيء بالشعر المتفاوت ، قال بشار: وما ذاك؟ ، قال: (تقول شعراً ثير به النقع) ـ أي الغبار ـ في قولك:

كَـــأَنَّ مُثَـــارَ النَقـــعِ فَـــوقَ رُؤُوسِـــنَا وَأَســـــيافَنَا لَيـــلٌ تَهَـــاوَى كَوَاكِبُـــه

وتخلع به القلوب ، مثل قولك:

إذا مَـــا غَضِـــبْنَا غَضـــبَةً مُضَـــرِيَّةً هَتَكْنَـــا حِجَـــابَ الشَـــمسِ أو تُمطِـــرَ الـــدَمَا

إذا مَـــا أعَرْنَـــا سَـــيِّداً مِـــن قَبيلَـــةٍ ذُرَا مِنبَـــرٍ صَـــلّى عَلَينـــا وَسَـــلَّما

إلى أنْ تقول:

رَبابَــــــــةَ رَبَّـــــــــةَ البَيــــــــتِ تَصُــــــبُّ الخَـــــلَّ فــــــي الزَيـــــتِ

لَهــــــــا عَشــــــــرُ دَجاجــــــاتٍ وَديـــــــــكٌ حَسَـــــــنُ الصَـــــــوتِ

فقال بشار: لكلِّ شيءٍ وجهٌ وموضع ، فالقولان الأوَّلان جِدٌ ، وهذا الأخير قلته في جاريتي ربابة ، لأنَّني لا آكل البيض من السوق ، وربابة هذه لها عشرُ دجاجاتٍ وديك ، وهي تجمع البيض منها وتحفظه لي ، وهذا القول عندها أحسنُ من قول: (قِفَا نَبْكِ مِن ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ) عندك.
* واجتمع الفرزدق وجرير عند عبد الملك بن مروان في مجلسه ، فقال الفرزدق: النوار بنتُ مجاشع ـ زوجته ـ طالقٌ ثلاثاً إنْ لم أقلْ قولاً لا يستطيع ابن المراغة ـ لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، والمراغة: الأتان ، أو أنثى الحِمار العادي والوحشي ـ أنْ ينقضه أبداً ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد الملك ما هو:

فَهَــل أَحَــدٌ يَــا ابــنَ المرَاغَــةِ هَــارِبٌ مِــنَ المَــوتِ؟ ، إنَّ المَــوتَ لا بُــدَّ نائِلُــه

فَـــإِنِّي أَنَـــا المَـــوتُ الّـــذي هُـــوَ ذاهِـــبٌ بِنَفسِـكَ ، فَــانظَر كَيــفَ أَنــتَ مُحاوِلُــه ؟

سكت جرير قليلاً ، ثمَّ قال: أمُّ حرزة ـ زوجته ـ طالقٌ ثلاثاً إنْ لم أكن نقضته وزدْتُ عليه ، فقال عبد الملك: هاتِ فقد والله طلَّق أحدكما لا محالة ، فأنشد:

أَنـــا البَــدرُ يُعشِــي طَــرفَ عَينَيــكَ فَــالتَمِسْ بِكَفَّيْـكَ يَــا ابــنَ القَــيْنِ هَــلْ أَنــتَ نَائِلُــه ؟

أَنـــا الـــدَهرُ يُفنِـــي المَـــوتَ وَالـــدَهرُ خَالِــدٌ فَجِئْنِـــي بِمِثْـــلِ الـــدَهرِ شَــيئاً يُطَاوِلُـــه

بين بيتي جرير ثلاثة أبيات أخرى حذفتهما لأركِّز على المعنى المنشود ؛ وابن القين هو: الفرزدق لا غيره ، والقينُ هو الحداد ، وكان جرير لصعصعة جدِّ الفرزدق قيون ، منهم: جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل جرير قوم الفرزدق قيوناً ، وكان جرير أيضاً ينسب غالب بن صعصعة والد همام الفرزدق إلى جبير القين. فقال عبد الملك للفرزدق: فضلك والله وطلَّق عليك ، فقال الفرزدق: فما يرى أميرُ المؤمنينَ ، فقال الخليفة: وأيم الله لا تريم ـ يقصد: لن أدعك والله تربح المكان ـ حتى تكتب إلى النوار بطلاقها ، فتأتَّى الفرزدق وحاول التهرُّب ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها! وعابوا على الأحوص قوله لعمر بن عبد العزيز:

وأَرَاكَ تَفعَــــلُ مَــــا تقــــولُ وَبَعضُـــــهم مَـــذِقُ الحـــديثِ يَقُـــولُ مَـــا لا يَفعَـــلُ

لأنَّ َالملوك لا يُمدحونَ بما يلزم عليها فعله أو القيام به ، بل تمدحُ بالإغراق والتفضيل بما لا يستطيع غيره فعله. * وعاب نفرٌ من النقاد على كثيِّر عزَّة قوله:

أريْـــــدُ لأنسَــــى ذِكرَهَـــا فكأنّمــــا تَمَثَّــلُ لِـــي لَيلَـــى بِكُـــلِّ سَــــبِيلِ

فقالوا: إذا كان يحبُّها لماذا يريد أنْ ينسى ذكرها؟ * وعابوا على يزيد بن مالك الغامدي قوله:

أكُـفُّ الجَهـلَ عَـن حُلَمَـاءِ قَـومِي وأعْـرِضُ عَـن كَـلامِ الجَاهِلِينَـا

إذا رَجُـلٌ تَعَـرَّضَ مُسْـتَخِفّاً لنَـا بِالجَهـلِ أوشَـكَ أنْ يَحِيْنَـا

لأنَّه أوجب لنفسه في البيت الأوَّل الحلم والإعراض عن الجُهَّال ، ونفى ذلك بعينه في البيت الثاني بتماديه في معاقبة الجاهل بأقصى عقوبة وهي القتل. * وقف أبو نواس بين يدي الفضل بن يحيى البرمكي ، مادحاً إيَّاه وآله ـ آل برمك ـ بقصيدة مطلعها:

أرَبْـعَ البَلَـى إنَّ الخُشُـوعَ لَبَـادِي عَلَيـكَ وَإنِّـي لَـمْ أخُنْـكَ وِدَادِي

ولمَّا وصل إلى قوله في آخرها:

سَـلامٌ عَلَـى الـدُنيَا إذا مَـا فَقِـدْتُمُ بَنِـي بَرمَـكٍ مِـن رائِحِـينَ وَغَـادِي

اشمأزَّ منه الفضل وكشَّر في وجهه واغتاظ منه وكرهه ، ثم أطرق قائلاً له: ويحك نعيْتَ إلينا أنفسنا يا أبا نواس! * واستهجنوا قول أبي محجن الثقفي في وصف جاريةٍ مغنية:

وتَرْفَـعُ الصَـوتَ أحيانَـاً وَتخفضُـهُ كَمَـا يَطِـنُّ ذبَـابُ الروضَـةِ الهَـزِجُ

فقالوا أيُّ قينةٍ هذه التي تحبُّ أنْ تُشبَّه بالذباب ؛ وقالوا بأنَّه سرق بيت عنترة بن شداد العبسي في وصف ذباب الرياض فقلبه مفسداً المعنى ، وهذا البيت المسروق هو:

وَخَـلا الـذُبَابُ بِهَـا فَلَـيسَ بِبَـارِحٍ غَـرِداً كَفِعـلِ الشَـارِبِ المُتَـرَنِّمِ

* كذلك استهجنوا قول محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي ـ نسبة إلى مدينة (بلد) العراقية ـ ذلك الشاعر الأميُّ المتوفى سنة (380هـ ـ 990م) ، والذي قال عنه أبو منصور الثعالبي صاحب كتاب (يتيمة الدهر): (كان أمياً وكان حافظاً للقرآن يقتبس منه ، .... ، ومن عجيب شأنه أنَّه كان أميَّاً وشعره كلُّه مُلحٌ وتحفٌ ، وغررٌ ولُطف ، لا تخلو مقطوعة له من معنىً أو مثلٍ سائر) ، قلتُ: ومع ذلك استهجنوا قوله:

كَـأنَّ شَـقَائِقَ النُعمَـانِ فِيـهِ ثِيَـابٌ قَـد رُوِيْـنَ مِـن الـدِمَاءِ

كَأنَّ شَقَائِقَ النُعمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَد رُوِيْنَ مِن الدِمَاءِ

مع أنَّ تشبيه الشاعر هنا هو تشبيه مصيب ، إلا إنَّ فيه بشاعة في ذكر الدماء. * واستقبح قول الداهية بشار بن برد:

وَجَدَّت رِقَابُ الوَصلِ أَسيَافَ هَجرِنَا وَقَدَّت لِرِجْلِ البَينِ نَعلَينِ مِن خَدِّي

فقالوا: ما أهجن (رجل البين) وأقبح استعارتها ولو كانتْ الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك قالوا عن (رقاب الوصل). * أمَّا أبو تمام فقد نال نصيبه من استقباح النقاد واستهجانهم وتعييبهم شعره ، ومن ذلك قوله:

فَلَوَيْتَ بِالمَوعُودِ أعنَاقَ الوَرَى وَحَطَمْتَ بِالإنجَازِ ظَهْرَ المَوعِدِ

فالمعنى في غاية الرداءة ، وفي (حَطْم ظهر الموعد) استعارة قبيحة جداً ، فالإخلاف هو الذي يحطم ظهر الموعد لا الإنجاز. وقوله:

تَحَمَّلتَ ما لَو حُمِّلَ الدَهرُ شَطرَهُ لَفَكَّرَ دَهراً أيُّ عِبأَيهِ أثقَلُ

قالوا: ليس هناكَ معنىً أبعد من الصواب من هذه الاستعارة المَكنيَّة ، بأنْ جعل للدهر عقلاً وجعله مفكِّراً في أيِّ العِبأينِ أثقل. ومثله قوله السابق في نفس القصيدة:

بِيَومٍ كَطَولِ الدَهرِ فِي عرضِ مِثلِهِ وَوَجدِيَ مِن هَذا وَهَذاكَ أطوَلُ

فمن المحال أنْ يكون للدهر عرضٌ. كذلك استهجنوا إلباسه الزمان صوفاً بعد أنْ كانوا رداءً له ، في قوله:

كَانُوا بُرُودَ زَمَانِهِم فَتَصَدَّعُوا فَكَأنَّمَا لَبِسَ الزَمَانُ الصُوفَا

ولم يستحسنوا تشبيهه الظُلم بالبعير ووصفه له بأنَّه بارك ، في قوله:

كُلُوا الصَبرَ غَضَّاً وَأشرَبُوهُ فَإنَّكُم أثَرْتُم بَعِيْرَ الظَلمِ وَالظَلمُ بَارِكُ

* وكان الآمدي صاحب كتاب (الموازنة بين الطائيينِ) قد استهجن واستقبح قول أبي عبادة البحتري في مدح الخليفة المعتزِّ بالله:

لا العَذْلُ يَردَعُهُ وَلا التَعْنِيفُ عَن كَرَمٍ يَصُدَّهُ

فقال : وهذا عندي من أهجن ما مُدِح به خليفة وأقبحه ، مَن ذا يعنِّف الخليفة أو يصدُّه ؟ ، إنْ هذا بالهجو أولى منه بالمدح. وهناك نوع أخيرٌ من نقد الشعر العربي لن أتطرَّق إلى نماذجه حتى لا تطول هذه المقالة أكثر ممَّا طالتْ ، وهو ما استحسنوه منه وأثنوا عليه ، علماً أنَّ عندي منه شواهد كثيرة ، كما أنَّ عندي شواهد أخرى كثيرة ممَّا عابوه واستهجنوه واستقبحوه غير التي ذكرتها لم أتطرَّق إليها لنفس السبب. لم يبقَ لي في هذه الأكتوبة إلا أنْ أشير إلى أنَّها رسالة إلى كلِّ مَن يتصدَّونَ لكتابة الشعر ويضمِّنونه أخطاءً لغوية بادِّعاءٍ باطل أنَّها ضرورات شعرية ، فلا علاقة للخطأ اللغوي بالضرورة الشعرية التي توقفتْ عند بشار بن برد المتوفى سنة (167هـ - 783م) ، كما شرحتُ وبيَّنْتُ قبلاً. أمَّا شويعري ما يسمُّونها أو يطلقونَ عليها (قصيدة النثر) ، فأقول لهم: أنا لا أعرف أنَّ للنثر قصيدة ، وقد كتبْتُ عن ذلك في مقالة سابقة لي ، وعندي عن النثر وقصيدته المزعومة بحثٌ طويلٌ ضافٍ سأنشره يوماً ما على صفحات جريدة (الزمان) إذا راق القائمينَ على النشر فيها واستحسنوه ، وسأناقش فيه بالتفصيل المُمِلِّ موضوعَ ترجمة أشعار الشعراء الغربيينَ الذين قلَّدهم شويعرونا ولبسوا ثوبهم ، ومنهم ابتدعوا بدعتهم التي سمَّوْها (قصيدة النثر) ، وخلطوا بينها وبين الشعر الحرِّ ، من دون معرفةٍ ودرايةٍ ، وللأسف ساعدهم بعض نقَّادنا على ذلك كلِّه بأنْ أثنوا عليهم ومدحوهم أو سكتوا ، حتى لا يُتَّهمونَ ـ أو لا يتهمونهم ـ بالرجعيَّة والانغلاق ؛ وسأبتعد فيه عن ذكر أسمائهم حتى لا أجرح مشاعرهم ، وربَّما أبتدع لهم نصوصاً قريبة من كتاباتهم بتغيير بعض المفردات أو إضافة أخرى من عندي ، حتى لا أقتبس نصوصهم التي سأسفِّه عباراتها وأطعن ببيانها وأفكِّك تراكيبها المفكَّكة أصلاً ، فأحزنهم على أنفسهم ، وأغضبهم منِّي. وأخيراً وليس آخراً : هذا ما عنَّ لي اليوم من ملاحظاتٍ ، آملاً أنْ ألتقيكم في مناسباتٍ أخرى أعرض لكم فيها نماذج نقدية أخرى عن نقد شعر العرب ونثرهم).هـ. إنه درسٌ لكل شاعر وأديب أن يعلم: (وفوق كل ذي علم عليم). وعلى أن الخنساء صحابية شاعرة قديرة ، أحبُها وأجلها ، ولا أنتقص قدرها أبداً – رضي الله عنها وأرضاها –. إلا أنني أذهب إلى أن حسان بن ثابت كان أشعر منها ومن النابغة الذبياني. وقد قرأتُ ودرستُ ديوان كلٍّ منهم فألفيت حساناً شاعراً لا يعاب ، وسطرت فيه قراءتي الأسلوبية التحليلية المعروفة ، انتصاراً لمكانته بين شعراء الصحابة (تلك القراءة الأسلوبية التي تقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وهي عبارة عن مجموعة مقالات أدبية نشرت جميعها في جريدة الوحدة العربية ما بين 1993م وحتى 1996م في التسعينات من القرن المنصرم). في ص 135 من كتاب (الأجوبة المسكتة) لإبراهيم عبد الله الحازمي ، يقول: (عرضت الخنساء شيئاً من شعرها في معرض الشعر في عكاظ على النابغة الذبياني رئيس الموسم ، فقال لها: اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين ، ولولا أن الأعمي (يعنى الأعشى الشاعر) أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم. وكان ممن عرض شعره حسان بن ثابت الشاعر المعروف ، فغضب وقال للنابغة: أنا أشعر منك ومنها. فقال النابغة الذبياني: أجيبيه يا خنساء. فقالت الخنساء مُعقبة ، وبكل ثقةٍ من الفوز والانتصار الساحق: يا حسان ، ما هو أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الآن؟ فقال حسان – رضي الله عنه ـ بكل ثقةٍ ويقين وعزةٍ كذلك: أجوده قولي:

لنـــا الـجـفــنـات الـغــرّ يلــمعن بالـضــحى   وأسـيـافــنــا يقطــرن مِـــن نجـــدةٍ دمـــا

فقالت الخنساء: والله يا حسان لقد ضعف افتخارك في ستة مواضع: * أولا: قلت: (الجفنات) وهي ما دون العشر ، ولو قلت: (الجفان) لكان أكثر. * ثانياً: قلت: (الغر) ، والغرة: البياض في الجبهة. ولو قلت: (البيض) لكان أكثر اتساعاً. * ثالثاً: قلت: (يلمعن) ، واللمع شيء يأتي بعد شيء ، ولو قلت: (يشرقن) لكان أكثر ، لأن الإشراق أدوم من اللمعان. * رابعاً: قلت: (بالضحى) ، ولو قلت: (بالدجى) لكان أكثر للطارقين. * خامساً: قلت: (أسياف) وهي ما دون العشرة ، ولو قلت: (سيوف) لكان أكثر. * سادساً قلت: (دماً) ، والدماء أكثر من الدم. فسكت حسان ولم يحر جواباً).هـ. إن كثيراً من النقاد العرب وغير العرب في القديم والحديث يدندنون على هذا الشاهد ليثبتوا بأن الخنساء – رضي الله عنها – بذلك تكون أكثر شاعرية ودقة في فهم ونقد الشعر من حسان بن ثابت. وهم لا يقولون ذلك إحقاقاً للحق ، بل للنيل من حسان فقط. على منهج الأصمعي عندما ذهب إلى أن شعر حسان قد لان بعد دخوله الإسلام ، الأمر الذي لو كانت الخنساء حية ما أقرته على حسان بعد إسلامه. إن هذه المغالطات يعرفها كل من له خبرة وعلم بالشعر العربي تأليفاً ونقداً. والحقيقة أنني حللتُ هذا الخبر ، ووقفت عنده وتأملته طويلاً. ثم درستُ أقوال النقاد وآراءهم فيه. وكانت النتيجة أن حسان بن ثابت أشعر منها بمراحل. إذ الشاعر لا يُحكمُ عليه من بيت أو بيتين ولا من قصيدة بأكملها أو قصيدتين. إنما العُمدة على مُجمل شعره. والذي يطالع ديوان حسان كاملاً ، ويُحلل مادته الشعرية يمكن بسهولة ويسر أن يدرك ما لحسان من المكانة بين شعراء العربية في زمانه وفي زماننا هذا. وعلى النقيض من ذلك فالذي يطالع ديوان الخنساء يدرك أن المادة الشعرية فيه قد تغلب جانب فيها على آخر. فأصبحت الخنساء بهذا الديوان رائدة الرثاء بين شواعر العرب. على حين كان ديوان حسان روضاً مئنافاً يشتمل على كل فنون وأغراض الشعر من الوصف والغزل والفخر والرثاء والمدح والانتصار للحق وأهله. ومن هنا جاز القول عندي بدون تحفظ بأن حسان أشعر منها. وفي كلٍّ خير. هذه صحابية مباركة ، وهذا صحابي مبارك. وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه شعر كل منهما ، ويتذوقه ويطلب الاستزادة منه ، والشواهد على هذا كثيرة ولله الحمد والفضل والمنة. والحقيقة أن حسان منذ أسلم ضمّن شعره كثيراً من النصوص القرآنية والنبوية. وتابع الدكتور أسامة عطية عثمان رسالة علمية تثبتُ صدق الذي نقول! حيث نوقشت بقاعة الواحة بكلية الآداب رسالة الماجستير التي تقدم بها الطالب محمد بن حامد الشمري وعنوانها: "التناص في ديوان حسان بن ثابت". وقد عرض البحث ما انتهت إليه جوليا كريستيفا من نتائج بحوثها الإجرائية في هذا المجال بعد أن استفادت من الإرث النظري ، الذي حدد معالمه ميخائيل باختين في دراساته العميقة في مفهوم الحوارية ، حيث طورت جوليا كريستيفا النتائج البحثية التي انتهى إليها باختين وقسمت مفهومها للتناص إلى ثلاثة مستويات هي: * الاجترار: هو أخذ النص السابق بمعناه ومبناه. * الامتصاص: هو الاكتفاء بأخذ معنى النص السابق دون المبنى. * التجاوز: هو إذابة النص السابق في النص اللاحق إذابة يتعذر معها الوقوف على النص الأصلي ومعرفته لدى القارئ المتعجل. وقد كشفتْ دراسة ديوان حسان بن ثابت في ضوء ظاهرة التناصّ عن طبقات النصوص التي يستخدمها الشاعر ولا يصرح بها في أغلب الأحيان في إنشاء نصوصه الشعرية التي تتميز بالانفعال الكامل بالإسلام والتأثر الواضح بالقرآن الكريم ، والتركيز الجلي على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والقيم الأخلاقية التي يدعو إليها ، وصناعة هذه الأشعار صناعة فنية تتخذ من التناص سمة بارزة لشعره ، ولقد توصل البحث إلى نتائج منها: أنّ حسان بن ثابت أنشأ أشعاره وهو متمثّل

النصّ القرآني والأحاديث النبوية والأحداث التاريخية تمثّلاً جيّداً. وهو ما يؤشّر على مدى إعجاب الشاعر بهذه النصوص الدينية التي قامت عليها الدعوة الإسلامية من جهة ، وبالنصوص التاريخية التي وثّق البحث لها ، من جهة ثانية. إذا لم يعلن الشاعر عن النصّ المصدر الذي يبنى عليه نصّه اللاحق ، فإنّ القارئ لا يجد صعوبة في العثور على نسق التناصّ الذي هو بصدده ، إذ غالباً ما يرد التّناصّ في ديوان حسّان بن ثابت النسق الاجتراري ، يليه النسق الامتصاصي ، فالنسق التجاوزي ، وهو ما يثبت ولع الشاعر بهذه النصوص واتجاهه الواضح نحو الاقتباس منها اقتباساً مباشراً. كما أظهر البحث تشكّل شعر حسّان من نسيج علاقات تناصّية جعلته ملتقى نصوص وقيم عاضد بعضها وعارض بعضها الآخر ، فكشف بآلية التناصّ عن تحوّلات عقائدية وتاريخية واجتماعية أعادت النظر في أبرز الثوابت والقيم الجاهلية).هـ. والذي يقرأ القصة السابقة يتوهم أن النابغة عندما أيد الخنساء في ردها على حسان محق في نقده! ثم رد قدامة بن جعفر (المتوفى سنة 337 هـ) في كتابه نقد الشعر على النابغة وبين أنه أجحف في نقده ، يقول قدامة بن جعفر: فإن النابغة على ما حكي عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو ، وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة خطأ بين ، وأن حسان مصيب ، فمن ذلك أن حسان لم يُرد بقوله الغر أن يجعل الجفان بيضاً وإنما أراد بقوله الغر: المشهورات ، كما يقال يوم أغر ، وليس يراد البياض في شيء من ذلك ، بل تراد الشهرة . وأما قول الخنساء في : يلمعن بالضحى ، أنه لو قال: بالدجى ، لكان أحسن من قوله: بالضحى ، إذ كل شيء يلمع بالضحى ، فهو خلاف الحق وعكس الواجب ، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء ، فأما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه ، فمن ذلك الكواكب ، وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا دائما تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تختفي ، وكذلك المصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار ، والليل تلمع فيه عيون السباع بشدة بصيصها. أما قول الخنساء ، إن قوله في السيوف يجرين خير من يقطرن لأن الجري أكثر من القطر ، فلم يرد حسان الكثرة ، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ، ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دما ، ولم يسمع: سيفه يجري دماً ، ولعله لو قال يجرين دما لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع إلى ما لم تجرِ عادة العرب به (انتهى كلام قدامة بن جعفر). وإنما انصب كلامي على: (من الأشعر منهما حسان أم الخنساء؟) وخلصتُ إلى أن حسان هو الأشعر. ورحتُ أنشد في الإشادة بحسان – رضي الله عنه – هذه القصيدة!) ، وتحت عنوان: (أخطاء الشعراء) يقول الأستاذ الأديب صالح الشايجي ما نصه بتصرف: (ما أجمل عالم الشعر وما أجمل السباحة في بحوره والغوص في معانيه وصوره وأخيلته! إنه أجمل العوالم الإبداعية قاطبة وأشدها جاذبية للناس وأكثرها تأثيراً في النفس البشرية. وما سأكتبه اليوم في هذه المقالة لا يحمل تنقيصاً من مكانة الشعر العلية، ولكنه مجرد تساؤل واستغراب. وقد قال العرب قديما «الشعر ديوان العرب» لإعلاء شأنه ومكانته. وقالوا أيضاً «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» وهذا القول الأخير هو مربط فرس مقالتي هذي وهنا مناخها أو منصة إطلاقها. لا أدري ما هو القصد من القول «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» ، هل القصد بلاغي أدبي بمعنى أن يجنح في الخيال والمبالغة ويهيم في أجواء متخيلة لا علاقة لها بالواقع ، أم أن من حقه الخروج عن القواعد والمبادئ الأدبية المعروفة. وسأورد أمثلة لما أثار استغرابي مما ورد في أشعار كبار الشعراء لا صغارهم. يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

فـــــإذا رحمـــــــت فأنـــــــت أمٌّ أو أبٌ هــذان فـــي الـــدنيا همـــا «الرحمـــاءُ»!

والشاهد هنا أن يكون الوصف جمعاً والموصوف مثنى فهو يصف «هذان» بـ «الرحماء» بدل «الرحيمان». وهذا مخالف لقواعد النحو العربي. ويقول «شوقي» أيضاً: «أنا من بدّل بالكتب الصحابا» وهو أخطأ هنا في إدخاله حرف الباء على المبقى عليه لا على المتروك ، والباء تدخل على المتروك المستبدّل لا على المبقى عليه. والأصوب أن يقول: «أنا من بدّل بالصحب الكتابا». وثمة بيتان من الشعر مشهوران جداً ويرددان في خِتام كثير من أصواتنا الغنائية:

يـــــا أم عمـــــرو جـــزاك الله مكرمـــــةً ردي علـــــيّ فـــــؤادي أينمـــــا كانـــــا

«لا تأخـــــذين» فـــؤادي تلعبـــين بـــــه وكيـــــف يلعـــب بالإنســـــان «إنســــــانا»

أما البيت الأول فهو سليم وخال من الشوائب ولكن البيت الثاني حوى خطأين ، حيث أخطأ الشاعر بإلغائه مفعول لا الناهية الجازمة والموجبة حذف النون في فعل «تأخذين» ، وكان عليه أن يقول «لا تأخذي» ، أما الخطأ الآخر ففي نصبه للفاعل وقوله: «إنسانا» وكان يجب أن يقول «وكيف يلعب بالإنسان إنسانُ» بدلاً من «إنسانا». فهل كل تلك الخروجات من حق الشاعر حتى يستقيم الوزن وتتناسق القافية! وبعض الشعر يتضاد مع القوانين الكونية. (كم تذكرتُ سويعات الأصيل ### وصدى الهمسات ما بين النخيل). أليس المكان المليء بالأشجار لا صدى للصوت المنطلق فيه. وأيضاً يقول نزار قباني في واحدة من أشهر قصائده:

«الحـــب فـــي الأرض بعـــض مـــن تخيلنـــا لـــو لـــم نجـــده عليهـــا لاخترعنـــــاه»

أي: إن الحب في الأرض مجرد تخيل وغير موجود ، ثم يعود ليقول: لو لم نجده على الأرض لاخترعناه. تناقض واضح مفضوح ، ولكنه مر مرور الكرام عليه وعلى محمد عبد الوهاب ملحن القصيدة وأيضا على من غنتها وهي نجاة. ويقول شاعر قديم:

قلـــت قراطيســـــكم أم جــــف حبـــــركم أم كاتـــب مــــات أم أقلامكـــم (كســـرا)

أم المطايـــا التـــي مـــن بيننـــا ضـــلعت أم الطريـــق الـــذي مـــن بيننـــا (خطـــرا)

ويحتوي البيتان بالنظر إليهما من الزاوية النحوية على خطأين متمثلين في كلمة «كسرا» في ختام البيت الأول و«خطرا» ختام البيت الثاني. فنحن نقول عادة الأقلام كسرت بالتأنيث أما الشاعر فذكرها بقوله «كسرا». أما خطؤه في كلمة «خطرا» في البيت الثاني فلأن الكلمة مرفوعة بالضمة لكونها خبرا للمبتدأ وهو كلمة «الطريق» ويجوز فيها الرفع فقط ولا يجوز النصب كما وردت في البيت المذكور. لا أظن أن هؤلاء الشعراء يجهلون القاعدة ، ولكن هذا

مما يسمى بالضرورة الشعرية ، فهل تصل الرخصة التي أعطيت للشعراء إلى حد التكسير البين لقواعد اللغة؟! وفي قصيدة شهيرة تنسب للإمام الشافعي بيت يقول فيه:

ســـلام علـــى الـــدنيا إذا لـــم يكـــن بهـــا صـــديق صـــدوق صـــادق الوعـــد منصـــفا

وحسب قواعد النحو المعروفة فإن الصفة تتبع الموصوف ، ولقد طبقها الإمام فوصف كلمة الصديق والتي جاءت مرفوعة بالضمة بالصدوق وصادق الوعد ، وهما صفتان مرفوعتان تتبعان موصوفهما ، ولكنه في الصفة الثالثة وهي «منصفا» نراه قد شذ عن القاعدة فنصب صفة لموصوف مرفوع. لا يمكن أن يقع الإمام الشافعي في مثل هذا الخطأ ، وبالتأكيد هناك مبررات ومسعفات لغوية لجأ إليها الإمام فكتب بمثل هذه الصورة ، وكذلك بقية الشعراء الذين ترصدت بعض أشعارهم).هـ. وتحت عنوان: (خطأ لغوي في ديوان شوقي) يقول الأستاذ محمد جمعة الدربي ما نصه: (قد يتبادر إلى الذهن أنني أشير إلى قول شوقي:

أنـــا مَـــن بـــدَّلَ بالكُتْـــب الصِّـــحابا لـــم أجـــدْ لـــي وافيًـــا إلا الكِتابَـــا

حيث يدَّعي كثيرٌ من الباحثين أن الباء لا تدخل إلا على المتروك ، مستدلين بالاستعمال القرآني ؛ مثل قول الله تعالى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) ، وقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) ، ولكننا نطمئنُّ إلى أن ما جاء به النص القرآني يصلُح للإثبات ، ولا يصلح للنفي ، بمعنى أنه يصلُح دليلًا على صحة الاستعمال المعيَّن ، لكن لا يصلُح دليلًا على خطأ ما عداه ، فالقرآن لم يجمَع اللغة العربية جميعها ، والقرآن ليس هو المصدر الوحيد للصحة اللغوية ، وربَّ عبارة لم يأتِ بها القرآنُ ، جاء بها غيرُه من النصوص الموثقة ، فارتفَع الحرَجُ عن استعمالها) ، وقد كان في إمكان أمير الشعراء أن يقول: (أنا مَن بدَّل بالصَّحْبِ الكِتابا ....)! ولكنه أدخَل الباء على المأخوذ غيرَ مضطرٍّ ، موافقًا لصحة ـ بل فصاحة ـ ذلك الاستعمال ؛ فقد جاء في شعر الطفيل بن عمرو الدوسي ـ لَمَّا أسلَم ـ في وصف النبي صلى الله عليه وسلم:

فـــــألهَمَني هُـــــداي اللّهُ عنـــــه وَبَـــدَّلَ طـــالعيْ نَحْســـي بسَـــعْدِي

على الرغم من قدرته على أن يقول: (..... .... وَبَدَّلَ طَالِعَيْ سعدي بنحسي)! وقد كان في إمكان الطفيل أن يقول أيضًا محافظًا على القافية: (.... .... وبدَّل طالعي سعدي بنَكْدِ)! ونقل ثعلب عن الفراء أنه يقال: أبدلتُ الخاتم بالحَلْقة: إذا نحَّيتَ هذا وجعلتَ هذه مكانه ، وبدَّلتُ الخاتم بالحلقة: إذا أذبتَه وسوَّيتَه حلقةً ، وبدَّلتُ الحلْقة بالخاتم: إذا أذبتَها وجعلتَها خاتمًا) ، وجاء في المصباح المنير: وأبدلتُه بكذا إبدالًا: نحَّيتُ الأول وجعلتُ الثاني مكانه)]. ولم يكن غريبًا أن تتخذ لجنةُ الأصول بمجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارًا بجواز إدخال الباء على غير المتروك ، وأن تجعل المدار في تعيين ذلك على السياق. أما الخطأ الذي نودُّ الإشارة إليه ، فهو كلمة مَناه) في قول شوقي:

فقد ضُبِطت الكلمة في إحدى الطبعات بالتاء المضمومة ، وإهمال حركة الميم ، وكذلك فعلت وزارة التربية والتعليم المصرية في مقرر الصف الأول الإعدادي على مدار عدة أعوام ، وفسَّرتها بالأمل ، وسألتْ الطلاب في بعض الأنشطة والتدريبات عن مفرد الكلمة! وضُبِطت في طبعات أخرى بالتاء المضمومة مع فتح الميم ، في حين ضبطتْها مكتبة الآداب بضم الميم والتاء. وفي نقاش بين الباحثين ، زعَم بعضُهم أن الكلمة محرَّفة عن بُناه ، وهذا زعمٌ لا دليلَ عليه ؛ لأنه يعني أن بالكلمة تحريفين ، وإذا كان من السهل تحريف التاء المربوطة إلى هاء ، فمن الصعب تحريف الباء إلى ميم في الدواوين الحديثة ، فضلًا عن ضَعف المعنى الذي يُسبِّبه هذا الزعم! أليس وصفُ الكشَّافة بأنهم شرفُ الدار وسُمُوُّها في المستقبل ، أبلغَ من وصفهم بأنهم بناةٌ فقط؟! ورأى آخرون أنها جمع مانٍ ؛ مثل: قاضٍ ، وهذا يُوقع أمير الشعراء في حرَج لغوي وديني ؛ حيث إن لفظ الماني يَرِدُ بمعنى المُقدِّر ؛ كما في قول أبي قلابة الهذلي:

ولا تَقـــولَنْ لشـــيءٍ ســـوفَ أفعَلُـــه حتـــى تبـــيَّنَ مـــا يَمنـــي لـــك المـــاني

أي: يقدِّر لك القادرُ. والذي أَطمئنُّ إليه أن أمير الشعراء أراد مَناهُ بفتح الميم وبالهاء المضمومة ، وهي مصدر ميمي من: ناهَ الشيءُ ينوه: إذا علا وارتفع أو قوِي ، فمَناهُ الدار: شرفُها وسُمُوُّها ، أو قوَّتُها. وقد فطِن إلى هذا الأستاذ إبراهيم الإبياري ، وإن لم يفطَن إلى صحة - وربما فصاحة - إدخال الباء على المأخوذ).هـ. ويقول الأستاذ بلال أحمد ما نصه: (عرف العرب الشعر موزوناً قبل أن يضع الخليل بن أحمد أوزانه وكان شعرهم فصيحا قبل أن يضع أبو الأسود الدؤلي قواعد النحو ثم فصل الخليل العروض على مقاس أشعارهم ووضع الدؤلي القواعد على مجرى كلامهم وأما ما خرج من شعرهم عن الوزن والقواعد فهو خطأ أو ضرورة شعرية أو إقواء. "الإقواء في الشعر العربي" كتيب للدكتور مزيد اسماعيل نعيم يفصل فيه أخطاء الشعر وزناً وقواعد منذ الجاهلية مروراً بالعصور الذهبية للشعر في العصرين الأموي والعباسي. واختلف العلماء على معنى الإقواء كما ورد في الكتاب فمنهم من أرجعه لزحاف في موسيقا الشعر ومنهم من أرجعه لخطأ في النحو ومع ذلك فقد اعتبر ما وقع فيه الشعراء من أخطاء مقصودة أضرتهم عليها الموسيقا أو القافية ضرورات شعرية جائزة في الشعر ممنوعة في غيره وهذه الضرورات وان لم يتم حصرها في كتاب أو دراسة فهي معدودة من صرف الممنوع من الصرف وإطلاق القافية وزيادة حروف المد في بعض الكلمات لاستقامة الوزن وترخيم الأسماء في النداء وسواها. ويبين نعيم كيف وقع معظم شعراء العصر الجاهلي في الإقواء على صعيد الوزن والإعراب فالنابغة الذبياني في معلقته التي تنتهي بحرف الروي الدال المكسورة يقول فيها "وبذاك خبرنا الغراب الأسود" ليجيء حرف الروي مضموماً دون أن ينتبه الشاعر حيث يروي الكتاب أن النابغة لم يقتنع بخطئه حين حدثه بعضهم عنه حتى سمعه مغنى فلم يعد إلى ذلك ثانية. كما يورد الإقواء في قصائد عمرو بن كلثوم وامرئ القيس وأبي ذؤيب الهذلي وسواهم من فحول الشعر الجاهلي ومن ذاك معلقة الحارث بن حلزة التي تنتهي بروي مضموم حيث قال فيها بيتا ينتهي بروي مكسور في قوله: "فملكنا بذلك الناس حتى *** ملك المنذر بن ماء السماء". كما وقع في الإقواء شعراء العصر الأموي كالفرزدق

وعبد الله بن مسلم الهذلي ومن العصر العباسي كالبحتري واستمرت ظاهرة الإقواء ثم اضمحلت حتى لا نكاد نرى لها أثراً. يقع الكتيب الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب في 80 صفحة من القطع الصغير ويذكر أن مؤلفه الدكتور مزيد اسماعيل نعيم له العديد من المؤلفات في البلاغة والنحو والصرف منها أساس البلاغة للزمخشري وتصريف الأفعال وعلم المعاني والنحو ومسائله).هـ. وقال الأستاذ فيصل سليم التلاوي: (ليس الشاعر نحوياً) ما نصه: (ليس الشاعر نحوياً ولا ينبغي له أن يكون كذلك ، وإلا فارقه إلهام الشعر الذي لا يرتضي (ضرة) ، ولا يقبل المنافسة مع سائر الفنون الأدبية. وعندها يستبدل دفقاته الغزيرة الصافية الصادقة بنتاج صانع محترف ، كأنما ينحت كلماته بإزميل نحات ماهر ، فتأتي بديعة الشكل والقوام ، لكنها جسد خالٍ من الروح ، و من النفس المتوهجة الوثابة. وقد اختلف الشعراء منذ القدم في طريقة معاودتهم النظر في قصائدهم بعد فراغهم منها ، و ذلك منذ البدايات الأولى للشعر ، فقد وجدت فئة قليلة من شعراء العصر الجاهلي تعاود النظر مدققة فاحصة لقصائدها ، مطيلة التأمل والمراجعة حتى سُمّوا (عبيد الشعر) ، و منهم من كان يمضي حولاً كاملاً في مراجعة قصيدته ، حتى سميت قصائدهم بالحوليات ، و من أبرز هؤلاء زهير بن أبي سلمى. ومن الشعراء من يعاود النظر بعد الفراغ من البيت الواحد أو من القصيدة كلها ، مدققاً في سلامة كلماتها ، وفي مطابقتها للقواعد النحوية خاصة رويّها ، ويكتفي بهذه المراجعة السريعة. ومنهم من لا يلقي بالاً لذلك ، ويترك الأمر على عواهنه ، وعلى الصورة التي تفتقت عنها قريحته ، وتدفقت على لسانه للوهلة الأولى. وتبعاً لذلك ولأن الغيث لا يخلو من العيث ، فإن المتتبع المدقق لا بد وأنه ملتقط لدى كبار الشعراء قبل صغارهم هفوات نحوية ولغوية أحياناً ، مَرَدُّ بعضها للغفلة والتسرع وعدم الانتباه ، وذلك وارد حتى عند شعراء المعلقات في العصر الجاهلي. فقد روي في كتب تاريخ الأدب أن النابغة الذبياني لما أنشد قصيدته (المتجردة) ، التي وصف فيها زوجة الملك النعمان بن المنذر ، والتي مطلعها:

مـــن آل ميـــةَ رائـــحٌ أو مغتـــدي عجـــلان ذا زادٍ وغيـــر مُـــزوَّدِ

مضى فيها إلى قوله:

زعـــم البـــوارحُ أن موعـــدنا غـــدا وبـــذاك خبرنـــا الغـــرابُ الأســـودُ

ولم ينتبه إلى ما في ذلك من إقواءٍ برفع الدال في كلمة الأسودُ على عكس سائر القصيدة ، التي رويها دال مكسورة (مُزودِ) ، لاحظ سامعوه ذلك و تهيبوا أن يُخَطِئوه مباشرة ، فأوعزوا إلى جارية أن تتغنى بالقصيدة على مسامعه ، وتطيل المد في كلمة (الأسودُ) حتى انتبه لخطئه ، واستدرك هفوته فقال:

زعـــم البـــوارح أن موعـــدنا غـــدا وبـــذاك تنعـــابُ الغـــرابِ الأســـودِ

ومثله في ذلك مثل بشر بن أبي خازم الذي نبهه أخوه سوادة: إنك تقوي. قال: وما الإقواء؟ قال: قولك:

ألـــم تـــرَ أن طـــول الـــدهر يُســـلي ويُنســـي مثلمـــا نســـيت جـــذامُ

ثم قلت:

وكـــانوا قومنـــا فبغـــوا علينـــا فســـقناهم إلـــى البلـــد الشـــآمِ

فلم يعد بعد للإقواء. وذكر أن بعض شعراء العصر الأموي كان يلحن ، ومنهم الفرزدق الذي هجا عبد الله بن يزيد الحضرمي البصري ، الذي كان ينتقده ويتعقب لحنه ، فقال:

فلـــو كـــان عبـــد الله مـــولى هجوتـــه ولكـــن عبـــد الله مـــولى مواليـــا

فقال له الحضرمي: لحنت. ينبغي أن تقول مولى موالٍ. وذلك بحذف ياء الاسم المنقوص عند تنوينه رفعاً أو جراً. وبعض قمم الشعراء يخطئون في استخدام بعض المفردات ، لا تدري أكان الباعث على ذلك سهواً و زلة ، أم أن قيد القافية يرغمهم على اختيار الكلمة ولو كانت غير مناسبة ، فتأمل قول المتنبي في مطلع إحدى مدائحه لسيف الدولة وهو مطلع ذائع الصيت ، حيث يقول: (لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)! وفي ذلك حكمة جرت مجرى الأمثال ، لأنها مطابقة لطبائع البشر ، حيث أن كل إنسان يسير على ما اعتاد عليه ، و من الصعب تغيير عادات المرء التي ألفها و تعايش معها ، لكنه في شطره الثاني الذي أراد فيه أن يخص سيف الدولة بعادة مُشرِّفة ، تتسم بدوام الشجاعة والبطولة ، و مواصلة مقارعة الأعداء ، اختار أن يكمل قائلاً: (وعادة سيف الدولة الطعن في العدا)! فإذا عدنا إلى معنى طعن في (معجم المعاني الجامع) فإننا نجد: طعن بالرمح ونحوه: وخز به بغرض القتل! طعنه بلسانه: عابه ، شتمه ، أساء إليه بالكلام! وفي التنزيل الحكيم (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر). وطعنوا في دينكم: أي عابوه وانتقصوه. طعن فيه أو في حكمه أو نسبه: عابه وذمه ، ويقال: طعن في الانتخابات بالتزوير. طعن في الشاهد: اعترض على شهادته! طعن في الأمر: اعترض عليه ، وأثار حوله الشبهات. طعن في السن: هرم و شاخ. فهل كان سيف الدولة يطعن في الروم بمثل هذه المعاني التي تقدمت لكلمة طعن في؟ الصواب أن يقال طعن سيف الدولة العدا دون حرف الجر في ، أما قولنا طعن في ، فلا تستخدم إلا للسان ، بمعنى ذمه و ذكره بسوء ، ونحو ذلك طعن في عرضه ، و طعن في شرفه ، و طعن في صدق حديثه. فهل هذا ما أراده المتنبي؟ و هل كان سيف الدولة يطعن في أعراض الروم و أحاديثهم بلسانه ، أم كان يطعنهم برمحه وسيفه؟ كيف كان صدر البيت يمثل افتتاحية مدوية ، و كيف انتهى عجزه ركيكاً هزيلاً حتى عند شاعر كل العصور ، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس؟ إنها الزلات التي لا يفلت منها حتى الكبار. وما سقناه من أمثلة ليس سوى غيض من فيض ، و إذا كانت هذه الهنات قد صدرت عن عمالقة الشعراء في مختلف العصور ، فما بالك بغيرهم من سائر الشعراء؟ ومن يتتبع شعراء المهجر مثلاً ، يجد عندهم ما لا يحصى عده من الأخطاء النحوية والعروضية. وشفيعهم أنهم شعراء فقط و ليسوا نحويين ، وأنهم قدموا لنا شعراً يتدفق عاطفة بفعل التشوق والحنين إلى الوطن ، الذي أكسبتهم إياه غربتهم الطويلة في الأمريكتين ، وتلك الروح الإنسانية والنظرات المتفائلة التي تحملها قصائدهم ، بفضل اطلاعهم على الآداب

الأجنبية وتأثرهم بها ، وشفيعهم أنهم لم يحرزوا قسطاً وافراً من الدرس والتحصيل ، بل اغتربوا مكافحين وراء لقمة العيش ، فرققت الغربة و المهاجر أحاسيسهم، فأنطقتهم بالشعر العذب. وعندنا شوقي يقول متناولاً حبه لوطنه:-

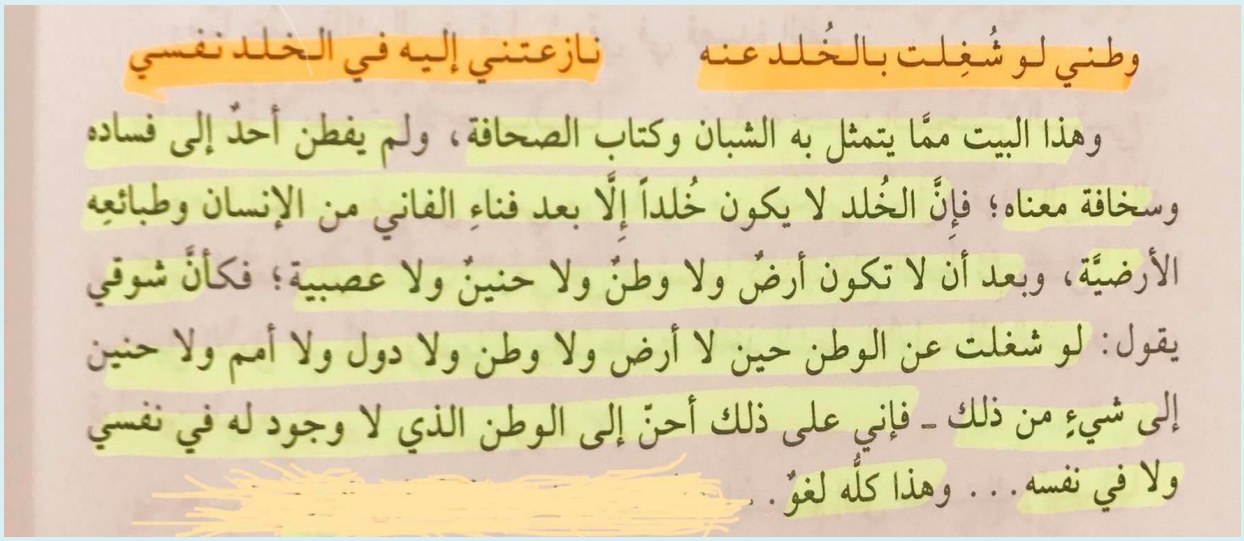
وطني لو شُغِلت بالخُلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وهذا البيت ممَّا يتمثل به الشبان وكتاب الصحافة، ولم يفطن أحدٌ إلى فساده وسخافة معناه؛ فإنَّ الخُلد لا يكون خُلداً إلَّا بعد فناءِ الفاني من الإنسان وطبائعِه الأرضيَّة، وبعد أن لا تكون أرضٌ ولا وطنٌ ولا حنينٌ ولا عصبية؛ فكأنَّ شوقي يقول: لو شغلت عن الوطن حين لا أرض ولا وطن ولا دول ولا أمم ولا حنين إلى شيءٍ من ذلك ـ فإني على ذلك أحنّ إلى الوطن الذي لا وجود له في نفسي ولا في نفسه... وهذا كلُّه لغوٌ.

وفي جريدة: (الرياض) الصادرة في الخميس 28 رجب 1429هـ -31 يوليو2008م - العدد 14647 ، يقول الأستاذ علي بن حسن العبَّادي في معرض كلامه عن أخطاء شوقي في شعره ما نصه: (وإذا نظرتَ الى أوزان الشعر التي ابتكرها الشعراء ، وأهملها الخليل بن أحمد (رحمه الله) وهي ستة أبحر: (المستطيل والممتد ، والمتوفر ، والمتند ، والمنسرد ، والمطرد) ، وكل بحر من هذه الأبحر الستة ، له شاهد من الشعر معروف لدى العروضيين ، ونظرت الى الوزن الذي أطلق عليه الشاعر عبد الله الفيفي ، اسم (المسحوب) يأتي هذا الوزن في القمة وزناً وإيقاعاً ، وهو وزن نعدّه من المحاولات الجديدة التي ابتكرها الدكتور الفيفي وله الفضل فيها الذي لا ينكر. وإذن فأمير الشعراء الشاعر الكبير أحمد شوقي قد كتب ابياتاً من الشعر ، قرأناها في مسرحية (مجنون ليلى) وسمّى أحد العروضيين المعاصرين وزنها: وزن (أحمد شوقي) وأبيات الشاعر الكبير (أحمد شوقي) هي:

زيـــادُ مـــا ذاق قـــيسٌ ولا همـــا طـــبخُ يـــد الأمّ يـــا قـــيسُ ذق ممـــا

الأمّ يا قـيسُ لا تـطبـخ السّـمـا

وانظر الأبيات في مسرحية (مجنون ليلى) صفحة (34) طبعة شركة الطباعة بمصر سنة 1954واقطع أبيات أحمد شوقي هكذا! وإذا نظرنا إلى أبيات أحمد شوقي نرى الزحاف قد لحق الأبيات الثلاثة فأصبحت الأبيات ركيكة ، لا تستسيغها الأذن (فزيادُ ما) ، دخل القبض التفعيلة الأصلية (مفاعيلن) فأصبحت (مفاعلن) و(طبخ يدل) دخل الخبن التفعيلة الأصلية (مُستفعلن) فأصبحت (متفعلن) ونقلت الى (مفتعلن) ، فلو وضعنا ما جاء به شوقي في إطار علم العروض لكانت الأبيات الثلاثة من وزن يتكون من: (مستفعلن/فاعلاتن/مفاعيلن) ، وهو وزن يخلو من الإيقاع والموسيقى).هـ. وتحت عنوان: (أخطاء القصيدة) يقول الأستاذ بداح السبيعي ما نصه: (من المؤلفات النقدية الجميلة والممتعة كتاب (أكثر 38 خطأ في الكتابة القصصية وكيف يُمكن

تحاشيها) ، ويمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه مُتخصص في الفن الذي يكتب عنه ، ويمتلك خبرة طويلة ساعدته على تتبع ورصد أبرز الأخطاء التي يقع في الكُتاب الشباب باستمرار ، ويُمكن أن يستفيد منه كُتاب القصة والرواية جميعًا بغض النظر عن خبرة الكاتب في ممارسة الكتابة. وكم نحن في حاجة لمثل هذه النوعية من المؤلفات في مجال الشعر أيضًا لتكون مرجعًا يستعين به الشعراء الشباب ، فوجود مثل هذا النمط من الكتب سيكون له أثر كبير في اختصار الطريق على الشاعر وتجنيبه مغبة الوقوع في أخطاء فنية وقع فيها الشعراء الذين سبقوه في كتابة الشعر ، وقد أدّى غياب – أو ندرة - مثل هذه المؤلفات النقدية ، وميل بعض النقاد للتوسع في تبرير أخطاء الشعراء وإدراجها تحت مفهوم "الضرورات الشعرية" و"يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره" ، أدى إلى استمرار ارتكاب الشعراء لأخطاء بسيطة وصريحة في كتابة القصيدة. وفي كتاب (ذم الخطأ في الشعر) يعترض ابن فارس على مساحة الحرية التي تُمنح للشاعر تحت مُسمى "الضرورات الشعرية" ويتساءل: "ما الوجه في إجازة ما لا يجوز إذا قاله شاعر؟ وما الفرق بين الشاعر والخطيب والكاتب؟ فإن قالوا: إن الشعراء أُمراء الكلام. قيل: ولِمَ لا يكون الخطباء أمراء الكلام ، لِمَ أجزنا لهؤلاء أن يخطئوا ويقولوا ما لم يقله غيرهم؟". ويستمر في طرح تساؤلات منطقية تُعبّر عن رفضه لترك الحبل على الغارب عند التعامل مع أخطاء الشعراء اللغوية. وقد رأينا في حالات عديدة استهتار بعض الشعراء وعنادهم في مسألة قبول نقد أخطائهم كما فعل النابغة الذبياني الذي لم يأبه بما لوحظ في قصيدته الشهيرة في المتجردة من "إقواء" ، وكما فعل الفرزدق الذي هجا نقاده وخاطبهم بثقة: "علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا"! وهناك مؤلفات أخرى توجهت عناية مؤلفيها بشكل مُباشر نحو رصد أخطاء الشعراء وتسليط الضوء النقدي عليها ، ككتاب (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) للمرزباني ، و(أوهام شعراء العرب في المعاني) لأحمد تيمور باشا وغيرها ، لكن التأليف عن أخطاء الشعراء لا يستهوي النقاد لصعوبته البالغة ، ولأن الذي يخوض تجربة الكتابة عن أخطاء الأدباء بجرأة لا يسلم من تُهمة "تصيُّد الأخطاء" و"الاصطياد في الماء العكر"!).هـ. ومن الأخطاء اللغوية الشائعة: (مُغْلَقٌ لاَ مَغْلُوقٌ) قال أبو الأسود الدُّؤَلِيّ من البسيط:

وَلاَ أَقُولُ لِقِدْرِ القَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ وَلاَ أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَغْلُوقُ

لَكِنْ أَقُولُ لِبَابي مُغْلَقٌ وَغَلَتْ قِدْرِي وَقَابَلَهَا دَنٌّ وَإبْرِيقُ

أي إنّه فصيحٌ لا يَلحَنُ. وهو كلامُ العرب ، قال الفرزدق:

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بنَ عَمَّارِ

وقال أيضًا:

فَتَحْنَا بِإِذْنِ اللهِ كُلَّ مَدِينَةٍ مِنَ الهِنْدِ أَوْ بَابٍ مِنَ الرُّومِ مُغْلَقِ

وقال جرير:

نَحْـــنُ الحُمَـــاةُ بِكُـــلِّ ثَغْـــرٍ يُتَّقَـــى وَبِنَـــا يُفَـــرَجُ كُـــلُّ بَـــابٍ مُغْلَـــقِ

وقال الشّافعيّ:

الجَـــدُّ يُـــدْنِي كُـــلَّ أَمْـــرٍ شَاسِـــعِ وَالجَـــدُّ يَفْـــتَحُ كُـــلَّ بَـــابٍ مُغْلَـــقِ

فلا تقلْ: غَلِيَت القِدْرُ ، ولا بابٌ مَغْلُوقٌ وإنْ حكاها ابنُ دُرَيْد عن أبي زيد ؛ لأنّه مِن لحنِ العامّة ، وهو قبيحٌ كما في المزهر (1/ 252) ، ولُثْغَة أو لُغَيَّة رديئة في أغلقه كما في القاموس المحيط (ص915 فصل الغين) ، ونادرة... ورديئة متروكة كما في اللّسان (10/ 291) ، والصّحاح (4/ 1538 غلق) ، ومختاره (ص479) ، ولغةٌ قليلةٌ كما في المصباح المنير (ص269 غ ل ق) ، ولثغة أو لغيّة رديئة متروكة...أو نادرة كما في تاج العروس (26 /258). بل تقولُ: غَلَتِ القِدرُ، وأغلقَ البابَ فهو مُغْلَقٌ. لقد منعَ منه الفُحول من علماء العربيّة ، والعُدول من نَقَلَة اللّغة. قالَ ابنُ السِّكِّيت في إصلاح المنطق (1 /188، 190): (بابُ ما جاءَ على فَعَلْتُ بالفتح ممّا تَكسِرُهُ العامّة أو تَضُمُّهُ وقد يَجيءُ بعضُه لغة إلاّ أنّ الفصيح الفتح...ويقالُ: قد غَلَتِ القِدْرُ تَغْلِي غَلْيًا وغَلَيَانًا [بفتحتين] ولا يقالُ: غَلِيَتْ". وقالَ في باب ما يُتَكَلَّمُ بأَفْعَلْتُ ممّا يَتَكَلَّمُ فيه العامّة بِفَعَلْتُ (1 /227): "... وقد أَغْلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ولا يُقالُ: مَغْلُوقٌ ، وقد أَقْفَلْتُهُ فهو مُقْفَلٌ ولا يُقالُ: مَقْفُولٌ". وقال ثعلبٌ في الفَصيح (ص79): " باب أَفْعَل: .... وأَغْلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ، وأَقْفَلْتُهُ فهو مُقْفَلٌ". وفي أدب الكاتب (ص284، 286): (بابُ ما يُهمَزُ من الأفعال والأسماء والعوامُّ تُبْدِلُ الهمزةَ فيه أو تُسْقطها .... وأَغْلَقْتُ البابَ ، وأَقْفَلْتُهُ ، ولا يُقالُ: غَلَقْتُهُ ، ولا قَفَلْتُهُ".)

خطـــاءٌ المـــرءُ مهمـــا قِيـــل فهّـــامُ ولا تُـــلامُ علـــى الأخطـــاء أحـــلامُ

إن أعملـــتْ فكرَهـــا فـــي الأمـــر واجتهـــدتْ ولـــم يعُقهـــا عـــن التفكيـــر إحجـــام

وهـــل تُصـــيبُ عقـــولٌ فـــي الهـــوى حُبســـتْ؟ وهـــل يكـــون مـــع الأهـــواء إقـــدام؟

كـــم نســـتعينُ بأســـباب لتُســـعفنا حتـــى تُحَقَّـــق أهـــدافٌ وآضـــام!

كـــم نبـــذلُ الجهـــد فـــي ســـر وفـــي علـــن! وكـــم يُســـربلنا عجـــزٌ وإيـــلام!

وكـــم نعـــالجُ بالإصـــرار رِيبتنـــا فـــلا يُعرقـــلُ مـــا ننويـــه أوهـــام!

وكـــم نصـــممُ فـــي تنفيـــذنا خططـــاً وكـــل بنـــدٍ لـــه قيـــدٌ وإلـــزام

وكـــم قـــرار بـــلا فوضـــى نناقشُـــهُ كـــي لا تـــزل بنـــا فـــي التيـــه أقـــدام!

وكـــم عواقـــبَ قبـــل البـــدء ندرسُـــها ... كـــي لا تضـــل بنـــا فـــي الفكـــر أفهـــام!

فهـــل خـــلا ســـعينا المبـــرورُ مِـــن خطـــأ ... ونحـــن مَـــن بجميـــع الســـعي قـــد قـــاموا!

لا ســـعيَ يخلـــو مِـــن الأخطـــاء أوجـــدَها ... قـــومٌ ثمـــارَ الـــذي ســـعَوْا لـــه رامـــوا!

فـــالنقصُ سَـــمتٌ لهـــم ، وهـــم بـــه وصـــفوا ... ولـــيس فـــي الوصـــف إن حققـــت إبهـــام

ولا أراهـــم بهـــذا الـــنقص قـــد خرجـــوا ... مِـــــن آدميـــــتهم ، إنـــــي لظـــــلّام!

أبـــــوهمُ آدمٌ عصـــــى ، وتوبتُـــــه ... لمّـــا يكـــنْ بعـــدها فـــي العـــيش آثـــام

كـــل ابـــن آدمَ خطـــاءٌ ، وخيـــرُ فتـــىً ... مَـــن تـــابَ يُرشـــدُه للتـــوب عـــلام

ومِـــــن بنـــــي آدمٍ واللهِ شـــــاعرُنا ... فهـــل علـــى خطـــإٍ يُصـــليه لـــوّام؟

كـــم ذاد عـــن بيضـــة الإســـلام محتســـباً! ... لـــه بشـــرع مليـــك النـــاس إلمـــام

وكـــم تكبـــدَ هـــولاً فـــي منـــاظرةٍ ... حتـــى يفيـــد الألـــى فـــي غـــيهم هـــاموا!

وكـــم بشـــعر لـــه قـــد خـــاض خندمـــة ... لـــيُعْلم النـــاس إن أفـــاد إعـــلام!

وكـــم تعقـــبَ بالأشـــعار مِـــن شَـــبَهٍ ... يريـــد فضـــحَ أنـــاس حولهـــا حـــاموا!

كـــم ســـخر الشـــعر يُحيـــي قِيمـــة وُئـــدتْ! ... هـــذا الغيـــورُ علـــى الأخـــلاق قـــوّام

كـــم أبطـــل الســـحر زكـــاه الألـــى فجـــروا! ... والســـحرُ إن راجَ بـــين النـــاس هـــدّام

كـــم للرشـــاد دعـــا مَـــن عنـــه كـــم صُـــرفوا ... حتـــى غـــزا النـــاسَ إيمـــانٌ وإســـلام!

كـــم بالقصـــائد جلـــى كـــل غامضـــةٍ! ... ولـــيس يبقـــى مـــع الأنـــوار إظـــلام

بالشـــعر لمّـــا يصـــفْ جمـــال آنســـةٍ ... حتـــى تُغنيـــه ألحـــانٌ وأنغـــام

بالشـــعر لمّـــا يُزخـــرفْ قـــبحَ معصـــيةٍ ... لأن زخرفـــة العصـــيان إجـــرام

بالشـــعر لمّـــا يُطـــوّعْ ديـــنَ خالقـــه ... إذ لـــيس فـــي الـــدين بالأشـــعار إســـهام

بالشـــعر لمّـــا يُنـــافقْ فـــي الـــدنا أحـــداً ... أوراقـــه برئـــتْ ، وعـــافَ مِرســـام!

بالشـــعر لمّـــا يُدشـــنْ كـــي يكـــون لـــه ... مـــالٌ وجـــاهٌ وتبجيـــلٌ وإكـــرام

بالشـــعر لمّـــا يُجامـــلْ قيـــد أنملـــةٍ ... حتـــى تكـــون لـــه جُلـــى وإعظـــام

واليـــوم تقتلـــه عمـــداً علـــى خطـــإٍ ... وتمـــنحُ الســـيف مَـــن عـــن الإخـــا صـــاموا

مَـــن ذا علمـــت بـــلا عيـــب ولا خلـــل؟ ... وهـــل بـــلا غلـــطٍ فـــي الأرض آنـــام؟

وأي شِـــعر خـــلا مِـــن بعـــض منقصـــةٍ ... بهـــا أخِلـــتْ بهـــذا الشـــعر أنغـــام؟

وأي شِـــعر قـــلا يومـــاً ضـــرورته ... وللضـــرورة فـــي الأشـــعار أحكـــام

وأي شِـــعر تُـــرى شـــروطه اكتملـــتْ ... فســـطرتْه بـــدون العيـــب أقـــلام؟

وأي شِـــعر تُـــرى أبياتُـــه قبلـــتْ ... فلـــم يعبْهـــا – علـــى التحقيـــق – نَظـــام؟

والبـــاحثون لهـــم دَورٌ وتجربـــة ... قـــالوا: الجـــوازاتُ أنـــواعٌ وأقســـام

كـــم غربلـــوا زبَـــدَ الأشـــعار تحســـبُهم ... مؤلفيهـــا ، وهـــم بنخلهـــا قـــاموا

فبينـــوا سُـــقمَ نـــص رغـــم صِـــحته ... وكـــم تُخِـــل بحُســـن الـــنص أســـقام!

وصـــححوا الـــنص تُشـــجينا طلاوتـــه ... هـــل كـــان فـــي مَعـــرض التصـــحيح إلهـــام؟

مـــن قبـــل (حســـانَ) والأشـــعارُ مـــا ســـلمتْ ... مـــن العيـــوب! لمـــاذا اللـــومُ والســـام؟

مثـــل الـــدروب علـــى ســـاحاتها انتشـــرتْ ... حصـــباؤها ، ويلـــي الحصـــباءَ آكـــام

مَـــن رام شـــعراً بـــلا عيـــب يُكـــدره ... تُقـــدِّم الشـــعرَ ذا رُؤىً وأحـــلام

لـــم يـــوح رب الـــورى شـــعراً لناظمـــه ... وإنمـــا الشُـــعَرا فـــي شـــعرهم هـــاموا

ومـــن هنـــا كانـــت الأخطـــاء ديـــدنهم ... وفـــي القصـــائد ممـــا قلـــتُ أرقـــام

مـــن امـــرئ القـــيس حتـــى اليـــوم تُفجعنـــا ... هـــذي العيـــوبُ لهـــا جبـــرٌ وإرغـــام؟

ولـــيس يســـلم منهـــا شـــاعرٌ أبـــداً ... إلا إذا كتـــب الأشـــعار أعجـــام

بعـــض العيـــوب تُـــرى مُـــراً لآكلـــه ... والـــبعض للآكـــل الـــذوّاق دمـــدام!

إذ الجـــوازاتُ تُعطـــي الشـــعرَ رونقـــه ... كمـــا تكمِّـــل طعـــمَ القـــوم آدام

إن كـــان أخطـــأ (شـــوقي) فـــي قصـــائده ... فهـــل يُؤاخِـــذ إنْ أخطـــأتُ لـــوام؟

يـــا قـــوم كفـــوا عـــن التثبـــيط ، والتمســـوا ... عُـــذراً لمـــن زل ، فـــالتثبيط إفحـــام

وصـــوّبوا معنـــا الأخطـــاءَ دون هـــوى ففـــي نصـــيحتكم عطـــفٌ وإكـــرام

وجنبونـــا عصـــا التشـــهير تنهرُنـــا فـــلا يكـــون لنـــا فـــي الشـــعر إقـــدام

جـــزاكمُ الله خيـــراً عـــن قصـــائدنا صـــححتموها لكـــم فـــي النصـــح إســـهام!

نبذة عن الشاعر

(الشاعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه شعره بتوفيق الله – سبحانه وتعالى ـ!

ويمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

أولاً: دواوين الشعر

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وخَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).

4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

ثالثاً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in

English and make them love English! & 77 Translation Passages!